سلسة
حياة التوبة و النقاوة
Repentance series

(2)
الرجوع الى الله
البابا شنوده الثالث
RETURN TO GOD
by H.H. Pope shenouda III

قداسة البابا المعظم الانبا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

بسم الأب و الابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

ما دامت الخطية إنفصالاً عن الله
<u>تكون التوبة إذن هي الرجوع إلي الله</u>

و ما دامت الخطية خصومة مع الله ... أو خيانة لله
<u>تكون التوبة إذن هي المصالحة مع الله</u>

و عن هذين الموضوعين يتحدث هذا الكتاب

مقدمة

الجزء الأول من هذا الكتاب يشمل موضوعين :

أ- الخطية هي إنفصال عن الله ... و قد ألقينا في هذا الموضوع محاضرتين في الكاتدرائية الكبري يومي الجمعة ٧٦/١٠/١٥ ، ١٩٧٩/٧/٢٧ .

ب- الرجوع إلي الله ... وقد ألقينا في هذا الموضوع ثلاث محاضرات في الكاتدرائية الكبري أيام الجمع : يوم ١٩٧٧/٨/١٩ بعنوان " إرجعوا إلي أرجع إليكم " ،
يوم ١٩٨٠/٦/٦ بعنوان " الرجوع إلي الله " ،
يوم ١٩٨١/٧/١٧ بعنوان " العودة إلي الله " ،

أما الجزء الثاني و هو (الصلح مع الله) .

فقد ألقينا فيه محاضرتين في الكاتدرائية الكبري في يومي الجمعة ٧٥/٣/٢١ ، ١٩٧٦/١١/١٢ مع محاضرتين عن (كيف أصطلح مع الله) بتاريخ ٧٠/١١/٢٧ ، ١٩٧٠/١٢/٤ . أضيفت إليهما محاضرة أخري عنوانها (الخطية خيانة) ألقيت في الكاتدرائية يوم ٧٣/٤/١٣ خلال أسبوع الآلام .

و من ثمرة هذه العشر محاضرات ، اصدرنا هذا الكتاب ...

شنوده الثالث

الخطيئة
انفصال عن الله

- **الخطية إنفصال عن الله و قديسيه :**

ما هي الحياة الروحية ؟ أليست هي الإلتصاق بالله ، كما يقول المرتل في المزمور :

" أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب " (مز ٧٣ : ٢٨) . بل هي أكثر من هذا الإلتصاق أيضاً . إنها الثبات في الرب ، حسبما قال لنا " إثبتوا في و أنا فيكم " (يو ١٥ : ٤) . إنها حياة إنسان ثابت في الرب ، يتمتع بعشرته ، و يتمتع بمحبته . يحتفظ بالله في قلبه ، و يعيش هو في قلب الله . فهل الخاطئ إنسان ثابت في الله ، و ثابت في محبته ؟ **كلا ، فالخاطئ له طريق آخر ، غير طريق الله .** إنه قد إنفصل عن الله في التصرف ، و في الإسلوب ، و في المشيئة . فأصبحت له مشيئة غير مشيئة الله . و صار يريد ما لا يريده الله . إنه إنسان يتحدي الله بلا خوف ، و يكسر وصاياه . و في كسره لوصايا الله ، يكون قد إنفصل عن محبته أيضاً . لأن الرب يقول : " إن كنتم تحبونني ، فإحفظوا وصاياي " (يو ١٥ : ١٥) " الذي عنده وصاياي و يحفظها ، فهو الذي يحبني " (يو ١٥ : ٢١ ٩ . **الخطية إذن هي إنفصال عن محبة الله ، و عن وصاياه** . هي حياة إنسان قد أعلن أستقلاله عن الله و عن ملكوته ، و صار يسلك حسب هواه ، دون أن يضع الله أمامه . إنه إنسان قد إنفصل عن الله ، و تمسك بأن تكون له شخصية قائمة بذاتها ، بعيدة عن توجيه الله و قيادته ، تفعل ما يحلو لها ... كما حدث حينما طلب بنو إسرائيل لهم ملكاً يحكمهم بدلاً من حكم الله لهم ، فقال الله لصموئيل النبي : **" هم لم يرفضوك أنت ، إنما إياي قد رفضوا "** (١ صم ٨ : ٧) . " رفضوا أن أملك عليهم " ... رفضوا حياة التسليم التي يحياها أولاد الله ، في طاعة و خضوع لمشيئته ... و الملك الذي صارلهم ، شاول ، سلك هو أيضاً حسب هواه ، مستقلاً عن الله ، لا يريد أن الله يدبر له أموره ، أو يدير له أموره ، بل كان يدير كل شئ بفكره الخاص ، دون أن يسأل عن مشيئة الله أين هي !

فالخطاة ينفصلون عن إرادة الله ، و ينفصلون أيضاً عن إرادة الله .... و قد عبر الله عن هذا الإنفصال بقوله : " رفضوني " و " تركوني ". فقال " تركوني أنا ينبوع الحياة الحية ، و حفروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء " (أر ٢ :١٣) . و قال أيضاً " رفضوني أنا الحبيب مثل الميت المرذول " (مز ٣٧ : ٢١) . نعم ، إن الخطية هي إنفصال عن الله ، ترك له ، و رفض له . الخاطئ لا يشعر بحب نحو الله ، و لا بدالة معه . **إنه إنفصل عن الله ، ليس فقط في سلوكه و في تصرفه ، وإنما أيضاً في قلبه و في حبه و مشاعره** . أصبح القلب يحب أشياء أخري ، قد حلت محل الله فيه . و لم يعد الله في إهتمامه ، بل صار يهتم بأمور أخري غير الله ، هي التي تشغل الآن فكره ، و تشغل وقته ، و تشغل قلبه ...! ففي حالة الخطية ، ينفصل القلب عن الله ، علي قدر ما يحب العالم الحاضر . فإن صارت محبته للعالم كاملة ، يكون إنفصاله عن الله كاملاً ، لأن " محبة العالم عداوة لله " (يع ٤ : ٤) ، " إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب " (يو ٢ : ١٥) . لا يمكن إطلاقاً أن يجمع أحد بين ضدين : محبة الله ، و محبة الخطية . و عليه أن يختار : إما هذه ، و إما تلك ... إن عشت مع الله ، لا بد أن تنفصل عن الخطية ، **و إن عشت في الخطية ، تكون بالضرورة منفصلاً عن الله .** تنفصل عنه ، و عن ملكوته ، و عن مشيئته ، و عن وصاياه ، و عن محبته ، و عن عمله ، و عن الشركة معه ... و كما قال الرسول : " الله نور ، ليست فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه ، و سلكنا في الظلمة ، نكذب و لسنا نعمل الحق " (١ يو ١ : ٥ ، ٦) . الله نور ، و الخطية ظلمة . و قد قال الكتاب : **" أية شركة للنور مع الظلمة ؟! "** (٢ كو ٦ : ١٤) .الذي يعيش في الظلمة ، يكون بلا شك قد إنفصل عن النور ، أي عن الله . و الناس الذين إنفصلوا عن السيد المسيح و رفضوه، قيل عنهم إنهم " أحبوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة " (يو ٣ ك ١٩) . **إذن فأنت بالخطية ترفض الشركة مع الله . و أية شركة ؟**

الحياة الروحية هي شركة مع الروح القدس ، كما نسمع في البركة في آخر كل إجتماع (٢ كو ١٣ : ١٤) . و بهذه الشركة نصير " شركاء الطبيعة الإلهية " (٢ بط ١ ك ٤) ، لا نصير شركاء في شركاء في الجوهر أو في اللاهوت ، حاشا ... إنما نصير شركاء في العمل . روح الله يشترك معنا في العمل ، يعمل فينا ، و يعمل معنا ، و يعمل بنا ... فهل أثناء الخطية ، يكون روح الله مشتركاً معك ؟! **أم أنت تكون قد فضضت هذه الشركة ، و إنفصلت عن عمل الروح ، و قلت للرب : لك طريقك ، و لي طريق ...؟!** و أصبحت بهذا الإنفصال عن روح الله ، تخالف التحذير الذي قال فيه الرسول " لا تطفئوا الروح " (١ تس ٥ : ١٩) " لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم " (أف ٤ : ٣٠) . إن الخاطئ لا ينفصل عن شركة الروح فقط ، بل أنه بالأكثر يقاوم الروح ، كما في التوبيخ الصادر من القديس إسطفانوس (أع ٧ : ٥١) . **الخطية هي إنفقال عن الروح القدس ، و عن الإبن أيضاً ...** الإبن الذي هو " حكمة الله " (١ كو ١ : ٢٣) . لا بد أن تكون منفصلة عنه النفوس التي لقبت بالجاهلات ، كما في مثل العذاري الجاهلات (مت ٢٥ : ٢) . فالتصرفات التي تصدر عن الخطاة ، هي تصرفات جاهلة ، منفصلة عن الحكمة الإلهية ، نقول عنها للرب في القداس " جهالات شعبك " . و هكذا قيل في سفر الجامعة إن " الجاهل يسلك في الظلام " (جا ٢ : ١٤) . الخطية هي إنفصال عن المسيح إذن ، أقنوم الحكمة . المسيح الذي قال لنا " أنتم في ، و أنا فيكم " (يو ١٤ ك ٢٠) ... كيف يمكن أن يكون فينا أثناء إرتكابنا للخطية ؟! كيف يمكن أن نكون فيه ، و نحن في الخطية في نفس الوقت . واضح أنه إن كانت الخطية فينا ، نكون وقتذاك في حالة إنفصال عن المسيح .**و كيف نكون أثناء الخطية هيكلاً للروح القدس ؟!** كيف يكون روح الله القدوس ساكناً فينا (١ كو ٣ : ١٦) . و نحن نرتكب الخطية ، بينما هيكل الله مقدس هو (١ كو ٣ : ١٧) . لا شك أن الخطية إنفصال عن الله و عن شركته . إنها إنفصال عن القداسة التي بدونها لا يعاين أحد الرب ... لأنه لا يعاين الله إلا أنقياء القلب (مت ٥ : ٨) . فالذي يفقد نقاوته بالخطية ، لا يمكن أن تري عينه الله . بل يكون قد إنفصل عنه هكذا وقفت الخطية طوال تاريخها كحاجز بين الله و الإنسان ... **و صار يمثل ذلك الحاجز المتوسط في خيمة الإجتماع** .هذا الحاجز – أو الحجاب – الذي كان يفصل الشعب عن قدس الأقداس ، فلا يستطيعون الدخول إليه (خر ٢٦ : ٣٣) ، رمزاً إلي إنفصالهم عن الله بالخطية ... هذا الحاجز الذي هدمه المسيح بصليبه ، و نحن في كل يوم – بخطايانا – نحاول أن نبنيه مرة أخري !! الكتاب يقول عن العذاري الجاهلات إنه قد " أغلق الباب " ، ووقفت هؤلاء الجاهلات خارجاً (مت ٢٥ : ١١) ، بينهن و بين الرب هذا الفاصل ، هذا الباب المغلق . يتضرعن قائلات : " يا ربنا يا ربنا ، أفتح لنا " ، فلا يفتح لهن . بل يقول لهن : " إني لا أعرفكن " ... لقد إنفصلن عنه تماماً ، وعن ملكوته و عن عرسه ، و إنفصلن أيضاً عن العذراي الأخريات الحكيمات ... **و في قصة الغني و لعازر ، نقرأ عن نفس الإنفصال .** لعازر في حضن أبينا إبراهيم ، و الغني ينظر " من بعيد " . و قد قد قال له أبونا إبراهيم " بيننا و بينكم هوة عظيمة قد أثبتت ..." (لو ١٦ : ٢٦) . الأبرار في الآخر ، يكونون في أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس ... وهذه لا يدخلها شئ دنس ، و لا ما يصنع رجساً ... إلا المكتوبين في سفر الحياة (رؤ ٢١ : ٢٧) . **ينفصل الأبرار عن الخطاة إلي الأبد . يفصل الله الأبرار عن الخطاة ، و القمح عن الزوان ، و الخراف عن الجداء ... و يطرح الأشرار في الظلمة الخارجية ...** الظلمة تعني إنفصالهم عن النور ، أي عن الله . و تعني إنفصالهم عن المدينة المنيرة ، أورشليم السمائية . و عبارة الخارجية تعني أنهم خارج جماعة المفديين الغالبين الأبرار ، بعيداً عن القديسين ، الذين كانت حياتهم بعيدة عن حياتهم و منفصلة عنها . **إذن الخاطئ سينفصل في السماء عن جميع أحبائه علي الأرض** . هنا علي الأرض الكل معاً : القديس مع الخاطئ . و لكنهم في السماء سينفصلون . فإن كان أحد علي الأرض يحب إنساناً باراً ،

فإنه لن يراه في المساء ، إلا إذا تاب ههنا ، و صار باراص مثله ، و إستحق بهذا أن يوجد في الموضع الذي سيوجد فيه ذلك البار . أما إن ظل خاطئاً ، فقد إنقطعت صلته بذلك الحبيب إلي الأبد ، مهما كان إبناً ، أو أخاً ، أو أباً ، أو صديقاً ... لا بد أن يكون مثله ، ليتمتع بعشرته في الأبدية ... فإن كان الإثنان اللذان يحبان بعضهما البعض خاطئين معاً ، فماذا يحدث ؟ أقول إن العذاب الذي يلاقيه كل منهما في الأبدية ، لا يعطيه فرصة أن يفكر في غيره ، بل عذاب غيره يكون عذاباً آخر مضافاً إليه ، و ليس متعة لعشرته . الحل الوحيد إذن ، الذي يجمع المحبين ، ليتمتعوا بالعشرة معاً هي أن يحيوا ههنا في بر ، و يجتمعوا معاً في السماء . الخطية إذن تفصل الإنسان عن الله و عن القديسين و عن أحبائه **و تفصله عن الملائكة أيضاً** ... فالكتاب يقول إن ملائكة الله " حالةحول خائفيه و تنجيهم " (مز ٣٤ : ٧) . فإن كنت من خائفي الرب تتمتع بعشرة الملائكة هنا و في السماء أيضاً ... أما الخطاة فإنهم يفصلون أنفسهم عن طغمة الملائكة ، التي لا تحتمل أن تري أعمالهم الردية ... بينما في وقت خطيتهم يحيط بهم الشياطين ، يشجعونهم علي ما هم فيه !

فالخطية إذن ، ليست هي إنفصالاً عن الله وحده ، بل أيضاً عن ملائكته و قديسيه و سمائه و ملكوته ، في الأرض و في السماء ... واضح في قصة الإبن الضال أنه إنفصل عن أبيه . إنفصل عن الآب . طلب ذلك و نفذه فعلاً ، و ذهب إلي كورة بعيدة (لو ١٥ : ١٣) . و في نفس الوقت الذي إنفصل فيه عن الآب ، إنفصل عن بيته الذي يرمز إلي الكنيسة بيت الله ، و إنفصل عن أعضاء أسرته الذين يرمزون إلي جماعة المؤمنين . و هكذا حدث للخروف الضال : إنفصل عن الراعي ، و عن الحظيرة ، و عن باقي الخراف ... في نفس الوضع حدث للدرهم المفقود (لو ١٥) . **الخطية إنفصال عن الله ، و إنفصال عن البر و الخير ، بطبيعتها ...** إنها إنفصال عن الخطية الإلهية التي رسمها الله لخلاصك ، و إنفصال عن الخط الإلهي الذي يريدك الله أن تسير فيه . هي إنفصال عن الحق ، و سير في الباطل ، و الحق هو الله (يو ١٤ : ٦) ... **بدأ الإنفصال عن الله من أول خطية آدم ...** إنفصل آدم عن المحبة و الدالة و العشرة التي كانت بينه و بين الله ، فأصبح يخاف منه ، و يختبئ من وجهه ، و إن سمع صوته يهرب من لقائه ، لا يستطيع أن يراه ! أو بأي وجه يراه ؟! هذا من ناحية . و من ناحية أخري ، إنفصل آدم عن شجرة الحياة ، و عن الجنة ، مكان لقائه مع الله (تك ٣ : ٢٢ ، ٢٣). و ماذا أيضاً ؟ ... إنفصل كذلك عن الصورة الإلهية التي كانت له . فلم يعد بعد الخطية علي شبه الله و مثاله . **كانت نتيجة خطيته هي الإنفصال عن الله ، و نفس الخطية ذاتها كانت إنفصالاً عن الله . فكيف ذلك ؟** كان الله يدبر أمور آدم في الجنة ، و يرسم له الخط الذي يسير فيه . و لكن آدم في خطيئته بدأ يستقل عن الله ، و يري ما هو الصالح لنفسه ، و ما هو المستقبل الذي يشتهيه حين يصير هو و حواء " مثل الله ، عارفين الخير و الشر " (تك ٣ : ٥) . و بدأ الإنسان الأول يختار له أصدقاءه و مشير يه الذين يسمع لهم أكثر من الله . و يتصرف كشخصية مستقلة قائمة بذاتها ... و هكذا إنفصل عن الله في ذات الخطية و خالف الله . **و قايين لما أخطأ ، إنفصل أيضاً عن الله ...** و صار تائهاً و هارباً في الأرض ، خائفاً و مرتعباً . لأنه في إنفصاله عن الله ، إنفصل عن المعونة و السلام ، و ليس عن البر فقط . و هكذا قال للرب عبارته المملوءة مرارة و حسرة " إنك قد طردتني اليوم ... و من وجهك أختفي " (تك ٤ : ١٤) . لعله نفس الخوف الذي خافه داود النبي حينما قال " لا تطرحني من قدام وجهك ، و روحك القدوس لا تنزعه مني " (مز ٥٠) إن عبارة " حتي متي تحجب وجهك عني " (مز ١٢) أخف بكثير من طرد الإنسان من أمام وجه الله ، كما حدث لقايين . **و عقوبة شاول كانت أصعب ، إذ " فارق روح الرب شاول "** (١ صم ١٦ : ١٤) . و لذلك قيل بعدها مباشرة " و بغته روح ردئ من قبل الرب " . لقد

إنفصل عن الله ، فأصبح للشياطين سلطان عليه ... صار كمدينة غير محصنة ، و كبيت بلا حماية ، تعبث به الشياطين . **ما أصعب التدرج في الإنفصال عن الله ...** عصيان لله ، خصومة مع الله ، إنفصال عن الله ، حجب وجه الله عن الإنسان ، مفارقة روح الرب للإنسان ، طرحه من قدام وجه الله ، لتبغته الأرواح الرديئة ...بل هناك وضع أصعب في الإنفصال ، و هو ما قيل عن الغصن الذي لا يصنع ثمراً ، إنه " يقطع و يلقي في النار " (يو ١٥ : ٦) (مت ٣ : ١١) ... نهاية مؤلمة حقاً ، لغصن كان في يوم من الأيام ، من أغصان الكرمة . و لكنه الآن إنفصل عنها و عن باقي الأغصان . **إذن فالخطية كذلك هي إنفصال عن الكنيسة ...**

***الخطية إنفصال عن جماعة القديسين :**

الكنيسة هي جماعة من القديسين يعيشون في طاعة الله . و في قانون الإيمان نقول " نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة " . و حتي الكنيسة – كمكان – هي موضع مقدس للرب ، نقول عنه في المزمور " ببيتك تليق القداسة يارب " (مز ٩٦) . و يقول الله لشعبه " لتكن محلتك مقدسة " (تث ٢٣ : ١٤) **. لذلك فإن الخاطئ – بخطاياه أو بهرطقته – يفصل نفسه – سلوكياً أو فكرياً – عن جماعة المؤمنين المقدسة . أو تفصله هي ...** إن مجرد أعمال الخاطئ تفرزه عن جماعة المؤمنين : حياته غير حياتهم ، و مبادؤهمبادئهم ، و سلوكه ، و شكله ، طرقه و أساليبه ... كل ذلك يجعله منفصلاً عنهم ، روحاً و فكراً و منهجاً ... بل حتي لغته و ألفاظه تختلف عن لغة القديسين و ألفاظهم . و كما قيل " لغتك تظهرك " (مت ٢٦ : ٧٣) . لذلك فإن هذا الإنفصال واضح . يقول فيه يوحنا الرسول : **" بهذا أولاد الله ظاهرون ، و أولاد إبليس (ظاهرون)"** (١ يو ٣ : ١٠) . إنه إنفصال في النوعية ، في السلوك ، في محبة الله ... تمايز واضح بين صفات الخراف و صفات الجداء . من المفروض أن تكون الكنيسة واحدة في الفكر و الإيمان و الروح . و من يشذ عن هذا الوضع ، إنما يعبر عن إنفصاله الشخصي عن هذه الروح الواحدة . فإن صار بهذا خطراً علي الجماعة المقدسة فإنها تفصله من عضويتها ، بعد أن فصل نفسه عملياً . و في هذا يقول الكتاب : " إعزلوا الخبيث من بينكم " (١ كو ٢ : ٧ – ١١) . إنها عملية فصل تقوم بها الكنيسة ، لتبقي عضويتها مقدسة . و من جهة المنحرفين في الإيمان ، نري القديس يوحنا الرسول ، الذي تكلم عن المحبة أكثر من جميع الرسل ، يقول من جهة هؤلاء المنحرفين : " إن كان أحد يأتيكم ، و لا يجئ بهذا التعليم ، فلا تقبلوه في البيت ، و لا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه ، يشترك في أعماله الشريرة " (٢ يو ١٠ ، ١١) **و من هنا ، كانت المجامع المقدسة تفصل الخارجين عن الإيمان . و ينطبق هنا مبدأ " خارج المحلة " المعروف في العهد القديم .** تحدث عملية فصل . و ما يختص بالخطية و بكل ما هو دنس ، يكون خارج المحلة . مثلما حدث مع مريم أخت موسي و هرون ، لما تقولت علي موسي نبي الله ، و ضربها الله بالبرص عقاباً لها " حجزت مريم خارج سبعة أيام " (عدد ١٢ :١٥) . و بسبب هذا أيضاً كانت الذبائح التي عن خطايا الشعب ، و التي يدخل بدمها إلي الأقداس " تحرق أجسامها خارج المحلة " (عب ١٣ : ١١) ... و تبقي المحلة مقدسة ... **شعوب الأرض في العهد القديم ، كانت تفصلهم خطاياهم عن الشعب المقدس . و كان الفلك أيضاً مثالاً لهذا الفصل ...** نوح و أولاده و نساؤهم ، كانوا في الفلك و يمثلون الذين نالوا الخلاص ، و صاروا و ساروا تحت قيادة الله مباشرة . أما الخطاة غير المؤمنين ، فكانوا خارجاً ، تحت حكم الموت ، تجرفهم المياة ، فتبيدهم و تبيد خطاياهم معهم . إنهم رفضوا أن يدخلوا مع نوح إلي الحياة ، لأن كل أعمالهم كانت غير أعماله . لقد فصلوا أنفسهم عن الله ، الذي خلقهم للحياة . و عن أمثال هؤلاء يقول القديس يوحنا الحبيب : " منا خرجوا . و لكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا ، لبقوا معنا " (يو ٢ :

١٩) . لقد فصلوا أنفسهم عنا ، و لم يعودوا منا . و عبارة " لم يكونوا منا " تشبه عبارة السيد " إني لا أعرفكم قط " (مت ٧ : ٢٣) . أنظروا إلي يهوذا : كان واحداً من الإثني عشر . و لكنه لعلهكانت تنطبق عليه عبارة " لم يكونوا منا " التي قالها القديس يوحنا الحبيب ... كان منا من جهة العدد ، و أمام الناس . ولكنه لم يكن منا حسب قلبه ونيته . و لذلك فهو قد جلس إلي العشاء مع باقي التلاميذ ، بغير إستحقاق . و لما أخذ اللقمة دخله الشيطان . و يقول الكتاب " ذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت " (يو ١٣ : ٣٠) . و بخروجه فصل نفسه عن التلاميذ ، إلي الأبد ... **و ديماس ، تلميذ بولس الرسول ، سار في طريق يشبه يهوذا .** كان منا ، واحداً من الكارزين الكبار ، من مساعدي القديس بولس الرسول . ذكره القديس في رسالته إلي أهل كولوسي إلي جوار إسم القديس لوقا الطبيب (كو ٤ : ١٤) . و ذكره في رسالته إلي فليمون مع مرقس و إرسترخس ، و قبل لوقا (فل ٢٤) ... و لكنه يبدو أنه لم يكن منا ، لأنه لما أحب العالم الحاضر فصل نفسه عن الرسل و هكذا يقول القديس بولس في خاتمة مأساة هذا الإنسان : **" ديماس تركني ، لأنه أحب العالم الحاضر " (٢ تي ٤ : ١٠) .** إنفصل ديماس عن القديس بولس . محبته للعالم فصلته عن الخدمة كلها . و لم يعد إسمه يذكر في الكتاب ، و لا في جماعة المؤمنين و التاريخ يذكر له نهاية مفجعة ... إنه لم يحتمل صليب المسيح في الخدمة . ففصل **نفسه و الخطية غالباً ما تكون إنفصالاً عن صليب المسيح ...** إنها إنفصال عن الباب الضيق الذي أمرنا الرب بالدخول منه (مت ٧ : ١٣) . و إنفصال عن الضيقات التي قال عنها الرسول " إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله " (أع ١٤ : ٢٢) . الخطية هي محبة العالم ، و الباب الواسع ، و الطريق الرحب . و كل هذا لا يتفق مع صليب المسيح الذي قال عنه الرسول " صلبت للعالم و صلب العالم لي " (غل ٢ : ٢٠) . فمن يفصل نفسه عن الصليب ، يفصل نفسه عن الله و عن جماعات المؤمنين . **ما أسهل إن عرف إنسان الخطية ، أن ينفصل عن الكنيسة .** ينفصل عن خلطة القديسين ، و يبحث له عن مجموعة أخري توافقه في اسلوبه ، و لا تبكته علي خطاياه ... و ينفصل أيضاً عن الكنيسة و عن الإجتماعات الروحية ، و عن التناول و الإعتراف ... يختط لنفسه خطة جديدة ، بحيث يمارس خطاياه دون أن يتبكت من أحد ... بل حتي الكتاب المقدس ، و الكتب الروحية ينفصل عنها أيضاً ، لأنه لا يستطيع أن ينفذ ما تأمر به من روحيات ... **هذا لم تفعله الكنيسة ، لكنها فصل نفسه بنفسه ....**هو قد إنفصل من الداخل ، في داخل قلبه و شعوره ، في أسلوب فكره و إتجاهات حياته . أحب شهوة الجسد و شهوة العين أو تعظم المعيشة (١ يو ٢ : ١٦) . أو أحب المال مثل الشاب الغني الذي إنفصل عن المسيح ، و مضي حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢) .

- **خطورة الانفصال و إمكانية الرجوع :**

أما أنت يا اخي ، فلا تسمح للشيطان أن يفصلك عن الله ، و يقتادك خطوة خطوة بعيداً عنه ، حتي يفصلك تماماً ، و يقطع كل الروابط الروحية التي تربطك بمحبة الرب ... إنما إستيقظ بسرعة إلي نفسك ، و التفت إلي خلاصك ... **تأكد أنك أنت الخاسر ، بإنفصالك عن الله ...** إنك بهذا الإنفصال تخسر نقاوة قلبك ، و تخسر سمعتك ، و تخسر أبديتك . تخسر الحياة الحقيقية التي هي المتعة مع الله ، و تخسر نفسك ، إذ تخسر الأبدية السعيدة و عشرة القديسين . و في مقابل ذلك لا تحصل علي شئ ههنا . و كما قال السيد المسيح له المجد : **"ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله و خسر نفسه "** (مت ١٦ : ٢٦) . ماذا تستفيد إن فصلت نفسك عن الله و ملائكته و قديسيه ، و أصبح مصيرك هو الظلمة الخارجية في البحيرة المتقدة بالنار و الكبريت (رؤ ٢٠ : ١٥) و يصدر عليك

الحكم الإلهي الذي لا إستناف له ... **و لكن الآن ما تزال أمامك فرصة للرجوع إلي الله ...** يقيناً إنك لا تستطيع أن تستمر في هذا الإنفصال عن الله . في قلبك صوت ثائر عليك ، يدعوك أنت تصطلح مع الله . و هو نفسه يريد لك هذا الرجوع . لأن إنفصالك عن الله ، ليس هو الوضع الأصيل ، و لا هو القصد الإلهي من خلقك . **أنا أعرف أنك لا بد سترجع ...** لن تجد راحتك في هذا العالم المتعب . و حينئذ سترجع إلي الله . و لعله ستنطبق عليك تلك العبارة الجميلة التي وردت في قصة الفلك إن الحمامة إذ لم تجد موضعاً لرجليها ، رجعت مرة أخري إلي الفلك (تك ٨ : ٩) . و الفلك هو سفينة النجاة ، التي يدعوك الله إليها ... حيث تكون في أمان من طوفان العالم الحاضر . **لا تنتظر حتي يرسل إليك ضيقة ترجعك ، بل أرجع من نفسك حباً لله ، و حباً للخير ، و حباً للملكوت الأبدي ...** أعرف أن الخطية قد فصلتك عن كل ما هو خير ، و لم تقدم لك عوضاً عن ذلك ، فقد خسرت الله بلا مقابل . هوذا بولس الرسول يدعو كل مشتهيات العالم نفاية . و يقول في معرفته للرب " خسرت كل الأشياء ، و أنا أحسبها نفاية ، لكي أربح المسيح و أوجد فيه " (في ٣ : ٨) بل يقول أيضاً " أني أحسب كل شئ أيضاً خسارة ، من أجل معرفة المسيح ربي " . جاهد إذن بكل قوتك ، لتضع نهاية لهذا الإنفصال . **و إن لم تستطع ، أصرخ إلي الله ، و قل له : أنا يارب لا استطيع أن أبعد عنك لحظة واحدة .** و لا طرفة عين . أنت بالنسبة إلي هو الحياة ذاتها ... لي الحياة هي المسيح . أنا إن فصلت عنك أصير ضائعاً بلا هدف ، و تصبح حياتي بلا وزن . و كأني ميت ، أولا وجود لي . وجودي الحقيقي هو فيك (في ٣ : ٩) . لا يمكن أبداً أن أنفصل عنك . و إن إنفصلت في وقت ما ثق تماماً أنه وضع مؤقت ، و غير طبيعي ، و أنا لا أريده ... **لذلك أرجعني إليك بأية وسيلة ... رد نفسي ...** لأنه بدونك لا أعيش . فبك أحيا و أوجد و أتحرك ... (أع ١٧ : ٢٨) . إذا إنفصلت عنك ، إنفصل عن القوة و النعمة ، و أصبح لا شئ . أعود تراباً كما كنت ، بل عصافة تذريها الريح (مز ١) . لذلك لا تسمح يا رب أن أنفصل عنك ... رد نفسي ، و أهدني إلي سبل البر ، لأجل إسمك (مز ٢٣) . لك المجد من الآن ، و إلي الأبد آمين .

الرجوع إلي الله

" ارجعوا إلي بكل قلوبكم "
(يوئيل ٢ : ١٢)
"ارجعوا إلي أرجع إليكم "
(ملاخي ٣ : ٧) ،
"توبوا و ارجعوا فتمحي خطاياكم"
(أعمال ٣ : ١٩)

- **قصة الانفصال عن الله :**

علاقة الإنسان بالله بدأت طيبة جداً ، كلها محبة ... الله هو الذي بدأ هذه العلاقة ... بأن خلق الإنسان ، و نفخ فيه نسمة حياة ، و جعله علي صورته و مثاله ، و وضعه في الجنة ، و منحه سلطاناً علي كل ما فيها من كائنات ... و كون علاقة معه . و كان يظهر له بين الحين و الآخر و يتحدث معه . و كان الإنسان صديقاً لله ، يتمتع برؤياه في الجنة ، و يأخذ المعرفة منه مباشرة . فكان الله هو المرشد الروحي للإنسان في كل شئ . و هو الذي أعطاه الإرشاد الأول ، بالوصية ...

إذن كيف حدثت الخطية ؟ كيف تمت ؟ و ما كنهها ؟ **الخطية – في كلمة واحدة – هي إنفصال عن الله ... هي إستقلال الإنسان عنه ، لكي يعمل ما يريد ... و نتيجة لهذا الإنفصال ، حدثت باقي الاشكالات ، و باقي الخطايا ...** كيف إذن حدث هذا الإنفصال ؟ و كيف تطور ؟ و ما نتائجه ؟

١-إنفصل عن عشرة الله : إنفصل الإنسان عن عشرة الله ، و بدأ يكون له علاقة مع كائن عاقل غيره . و للأسف كانت هذه العلاقة الجديدة مع الله ، مع الشيطان ، الحية القديمة (رؤ١٢ : ٩) .

٢- وإنفصل عن الله في المعرفة : فبعد أن كان يأخذ معرفته من الله وحده ، بدأ يأخذ المعرفة طريق آخر . من الحية و نصائحها و شكوكها . و أيضاً توقع أن يأخذ المعرفة من شجرة المعرفة التي نهاه الله عنها . و بهذا وقع في إنفصال آخر .

٣- إنفصل عن وصية الله و كلمته المقدسة ...

٤- إنفصل عن الله ، في شهوات قلبه ...

فصار يشتهي الشجرة ، و يشتهي الثمر ، وجدها " شهية للنظر جيدة للأكل " (تك ٣ : ٦) . و هكذا وقع في شهوة الأكل أيضاً ، و في شهوة المادة . و شهوة الأكل من الشجرة كان سببها شهوة أن يصير مثل الله كما أغرته الحية (تك ٣ : ٥) .

٥- و بالآنفصاله عن الله ، إنفصل عن الحق ... لأن الله هو الحق .و إذ إنفصل الإنسان عنه ، إنفصل عن الحق ، و اتبع الباطل . و امعروف أن الحق ثابت ، و الباطل كثير التغير . فلما إنفصل الإنسان عن الحق ، و دخل في الباطل ، دخل في تغيرات لا تنتهي . و أصبح كل يوم في حال ، و كل يوم في شعور ... صار مخلوقاً متغيراً ، غير ثابت علي وضع .

٦- و بإنفصاله عن الله ، إنفصل عن الحياة ... لأن الله هو الحق و الحياة (يو ١٤ : ٦) . و إذ إنفصل الإنسان عن الحياة الحقيقية ، التي هي الثبات في الله ، اصبح من الناحية الروحية ميتاً ، حسبما قال الآب عن إبنه الضال " إبني هذا كان ميتاً ..." (لو ١٥ : ٢٤) . و صار ينطبق علي الإنسان قول الرب " لك إسم أنك حي و أنت ميت " (رؤ ٣ : ١) .

٧-و بإنفصال الإنسان عن الله ، إنفصل عن القوة ... مصدر قوته كان هو الله . و بلإنفصاله عن الله ن إنفصل عن القوة ، فصار ضعيفاً : ينتصر عليه الشيطان ، و توي عليه حتي الحيوانات ، و ينتصر عليه أخوه الإنسان . و تنتصر عليه ذاته كذلك ... أصبح مخلوقاً ضعيفاً لا يستطيع أن يقوم بذاته ، أو يقيم ذاته .

٨- و بإنفصاله عن الله ، إنفصل عن سلطته ... إنفصل عن السلطان الذي أعطي له من الله علي باقي الكائنات الحية . فلم يعد له سلطان علي وحوش الأرض كما كان من قبل .

٩- و إنفصل أيضاً عن وقاره وهيبته ... فارقت الهيبة التي كانت له كصورة الله و مثاله ، و قد فقد هذه الصورة الإلهية بسقوطه في الخطية . و في فقده لوقاره ، طرد من الجنة ، و وقف أمام الله كمذنب مستحق للعقوبة .و الشيطان ، إذ رأي الإنسان مطروداً من الله و مذنباً و معاقباً ، وجدها

فرصة فسيطر عليه ... و أقام الشيطان نفسه رئيساً لهذا العالم . و أصبح هكذا لقبه " رئيس هذا العالم " (يو ١٤ : ٣٠) .

١٠- وبإنفصال الإنسان عن الله ، بدأ ينهار ، و دخله الخوف ... بدأ يخاف من الله ، بدلاً من الدالة و الحب . ثم صار يخاف من أخيه الإنسان ، كما خاف قايين و قال " يكون كل من وجدني يقتلني " (تك ٤ ك ١٤) . و صار أيضاً يخاف من الوحوش ، و دخله القلق و الإضطراب و الهم .

١١- و بإنفصاله عن الله ، إنفصل عن حياة الروح ... و هكذا سيطرت عليه المادة ، و سيطر عليه الجسد . و وقع في خطايا الجسد . و اصبحت خطايا الجسد تجارب حتي الأنبياء و رجال الله ، فوقع فيها شمشون ، و داود ، و سليمان ، و غيرهم . و قيل إنها " طرحت كثيرين جرحي ، و كل قلاها أقوياء " (أم ٧ : ٢٦) .

١٢- و بإنفصال الإنسان عن الله ، تمادي في الخطية ... شيئاً فشيئاً بدأت خطاياه تزيد ، وأخذ الإنسان يتهاوي شيئاً فشيئاً ، و يتمادي في أعمال الشر و النجاسة ، و يخترع فيها فنوناً و حيلاً ، إلي أن اصبحت خطاياه أكثر من شعر رأسه .

* * * *

هذا هو تاريخ الخطية علي الأرض ، و إنفصال الإنسان عن الله ... تاريخ يسجل مأساة إنسان ...نفهم منه أن الخطية لا تستريح حتي تكمل ... الشيطان إذا أوقع إنساناً في خطية ، لا يكتفي بها . بل يظل يتدرج معه حتي يهلكه ، و يصير بلا مقاومة ... فما هو الحل إذن ؟ **الحل الوحيد هو الرجوع إلي الله ، و تكوين علاقة معه ...** إن كانت الخطية هي الإنفصال عن الله ، فالعلاج الوحيد هو الإنفصال عن الخطية ، و الرجوع إلي الله . و لا علاج غير هذا ... إنفصل عن الخطية بكل قلبك ، ليس فقط من أجل أنها أتعبتك ، أو من أجل الدينونة و العقاب ، إنما لأن هذه الخطية أبعدتك عن الله ن و فصلتك عن العشرة الحلوة معه .

- **ما معني الرجوع إلي الله ؟ معناه بإختصار : تكوين علاقة حقيقية قلبية معه ... أقول علاقة ، وليس مجرد مظاهر خارجية أو ممارسات ...** البعض يظن أن الرجوع إلي الله ، معناه برنامج في الصلاة و الصوم و التداريب الروحية ، و القراءات الروحية و الإجتماعات و المطانيات كل هذا حسن و جميل ، و لكن هل فيه علاقة قلبية مع الله أم لا ؟ هل فيه حب لله أم لا ؟ بدون هذه العلاقة القلبية ، و بدون هذا الحب ، لا تكون قد رجعت إلي الله ، مهما كانت لك صلاة و أصوام و قراءات و مطانيات ... إنما بالعلاقة مع الله و بالحب ، تأخذ كل هذه الوسائط الروحية فاعليتها و قوتها ... فالقلب أولاً ، و منه تصدر هذه الممارسات . و لهذا يقول الرب في سفر يوئيل النبي (٢ : ١٢ ، ١٣) : **" إرجعوا إلي بكل قلوبكم ... "** (يوئيل ٢ : ١٢) . يقول " إرجعوا إلي بكل قلوبكم ، و بالصوم و البكاء و النوح " " مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، و إرجعوا إلي الرب إلهكم " إذن الرجوع القلبي هو المطلوب . القلب أولاً . و من هذا القلب الراجع ، المنسحق أمام الله ، يأخذ الصوم قوة ، و كذلك الدموع . عجيب أن كثيراً من الناس ، يتمسكون بالوسائط و ينسون الله . كإنسان كل همه أن يتلو مجموعة من المزامير . إن لم يتلها يكون حزيناً . و إن أكملها يصير سعيداً ، حتي لو لم تكن له علاقة بالله أثناء تلاوتها !! كلا ، ليس الأمر هكذا ... **إن المزامير لها قوتها الروحية الجبارة ، و لها بركتها و تأثيرها و فاعليتها ، بشرط أن تكون صادرة من القلب ، بعلاقة مع الله .** أما بغير هذه العلاقة ، وبغير مشاعر القلب ، فقد تصلي ، ومع صلاتك يسري الفتور و السرحان و طياشة الفكر . و قد تصلي بلا عاطفة ، وبلا

حرارة و بلا إيمان ، و دون شعور بالوجود في حضرة الله ... لقد تحول الأمر إلي مجرد ممارسة ، بدون علاقة قلبية في الداخل تعطي هذه الممارسة وزناً و قيمة ... **أو كإنسان يصوم ، و الله ليس في صومه ...** كل همه يتركز في فترة الإنقطاع و تطويلها ، و في زهد الطعام و نسكه . ربما لا يأكل شيئاً حلواً ، أو لا يأكل شيئاً مطبوخاً ، أو يقتصر علي الماء و الخبز و الملح . فإن فعل ذلك ، يكون راضياً عن نفسه . شاعراً إنه ناجح في صومه . أما إستخدام الصوم كوسيلة توصله إلي الله ، فربما يكون أمراً لم يخطر علي باله ...! **إن القلب هو الأساس .**

و به نميز بين إثنين : إنسان يصلي المزامير ، فيخرج بها الشياطين . وآخر يصلي المزامير و كأنه لم يصل ، إذ لا علاقة في قلبه مع الله . هناك من يصوم ، فينال مراحم الرب و غفرانه ، كما فعل أهل نينوي . و غيره يصوم فلا يقبل الله صومه ، كما حدث للفريسي . القلب إذن هو الحكم . و الرجوع إلي الله ، نريده بالقلب . **كذلك الرجوع إلي الله ، معناه الرجوع الدائم الثابت .** الرجوع الذي لا نكسة فيه . لأن هناك أناساً يظنون أنهم قد رجعوا إلي الله ، بينما يحيون مترددين ، يوماً معه و ربما بحرارة شديدة ، و يوماً في شهوات العالم و رغباته . كما قيل في قصة الفلك عن الغراب الذي أطلقة نوح ، إنه " خرج متردداً " (تك ٨ : ٧) . لا يكون رجوعك إلي الله إذن ، هو رجوع في مناسبات ، أو في أصوام ، أو في تأثرات معينة ، أو فترات تدريبات ، رجوعاً موسمياً ، تعوده بعده إلي خطاياك السابقة ، منفصلاً عن الله مرة أخري ...!

خذ درساً – في الرجوع إلي الله – من قصص القديسين ... القديس موسي الأسود مثلاً ، حينما رجع إلي الله ، رجع بكل قلبه ، و لم يعد إلي خطاياه الولي مرة أخري ، بل ظل ينمو و ينمو حتي تحول إلي مرشد روحي و قدرة لكثيرين و مريم القبطية ، و بيلاجيه ، و أوغسطينوس ، و غيرهم . كل أولئك رجعوا إلي الله ، و لم ينفصلوا عنه مرة أخري ، إنما تقدموا بإستمرار في النمو الروحي ، من حياة التوبة إلي حياة القداسة ... **و الرجوع إلي الله معناه الرجوع بقلب جديد ...** و الله نفسه يقول في ذلك ... أعطيكم قلباً جديداً ، أجعل روحاً جديدة في داخلكم " (خر ٣٦ : ٢٦) .و القديس بولس الرسول يقول " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢) ، أي بفكر جديد ، يزن الأمور بميزان غير ميزانه السابق . فكر أصبحت للروحيات عنده قيمتها ، و فقدت الخطية تأثيرها عليه ... **و يكون الرجوع إلي الله بالصوم و التذلل ...** كما رجع إليه أهل نينوي . سمعوا إنذار النبي إنه بعد أربعين يوم تنقلب المدينة (يون ٣ : ٤) . و لكنهم لم ييأسوا من مراحم الله ، و رجعوا إليه بالصوم و التذلل . فماذا فعلوا ؟ " نادوا بصوم . و لبسوا مسوحاً من كبيرهم إلي صغيرهم . و بلغ الأمر ملك نينوي ، فقام عن كرسيه و خلع رداءه عنه ، و تغطي بمسح ، و جلس علي الرماد " . و هكذا تغطي جميع الناس بالمسوح ، و صرخوا إلي الله بشدة ، و رجعوا عن طريقهم الردية .... فرجع الله إليهم . **نفس الصوم و التذلل ، نراه في سفر يوئيل (١٢ : ١٥ – ١٧) .** حيث قال : قدسوا صوماً ، نادوا بإعتكاف . إجمعوا الشعب ، قدسوا الجماعة ... ليخرج العريس من مخدعه ، و العروس من حجلتها . ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق و المذبح . و في نفس الوضع نراه في صوم دانيال النبي و تذلله . يقول : " فوجهت وجهي إلي الله ، طالباً بالصلاة و التضرعات ، بالصوم و المسح و الرماد . و صليت إلي الرب إلهي و اعترفت (دا ٩ : ٣) " كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام ، و لم آكل طعاماً شهياً ، و لم يدخل في فمي لحم و لا خمر ، و لم أدهن " (دا ١٠ : ٢ ، ٣) . و الرجوع إلي الله ، يتميز بالحرص و التدقيق و الجدية ... الذي يرجع إلي الله ، يكون فرحاً جداً برجوعه ، حريصاً علي هذا الصلح الذي تم بينه و بين الله . لذلك يكون مدققاً جداً لئلا تصيبه نكسة فيسقط كما كان ... لقد جرب من قبل مشاكل التساهل مع الخطية . و كيف أنه إذا تساهل مع الفكر ،

يتحول إلي شعور في القلب ، ثم إلي شهوة تشتعل داخله ، و تبدأ الخطية تسيطر عليه . و يصبح من الصعب أن يفلت منها . **لذلك يدقق مع كل فكر ، و مع جميع الحواس ...** يدقق مع الخطايا التي تبدو صغيرة ، مثلما مع الخطايا الواضحة الخطأ .و يقول مع النشيد : " خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم " (نش ٢ : ١٥) . و يقول للخطية و هي في أولها " طوبي لمن يمسك أطفالك ، و يدفنهم عند الصخرة " (مز ١٣٧ : ٩) . و هكذا يكون أمينا في القليل ... **بهذا التدقيق تختبر أمانتك في الرجوع ...** لأنك إن تساهلت مع الخطية ، لا تكون أميناً في رجوعك إلي الله . و يكون قلبك ضعيفاً من الدخل ، يسهل سقوطه . **و الرجوع الحقيقي إلي الله ، هو رجوع بقوة ...** رجوع يمنحك فيه الله قوة تلمسها في كل نواحي حياتك الروحية :قوة في الإنتصار علي الخطية ، و قوة في النمو الروحي ، و في الإرتفاع إلي فوق . و كما قيل عن ذلك في سفر أشعياء النبي " يعطي المعيي قدرة ... يجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون و لا يتعبون . يمشون و لا يعيون " (أش ٤٠ : ٢٩ : ٣١) . **شمشون الجبار فقد قوته لما أخطأ ، لأن نعمة الله فارقته . لكنه لما رجع إلي الله ، عادت إليه قوته ...** أطلب من الرب إذن أن يعطيك قوة ترجع بها ، و أن يعطيك قوة تلازمك في رجوعك إليه ، قوة من روحه القدوس ... قوة تحسها في كل عمل تمتد إليه يدك ، كما قال في المزمور الأول عن الرجل البار " و كل ما يعمله ينجح فيه " (مز ١ : ٣) . كإنسان كان مريضاً جداً ، ثم نقلوا إليه دماً ، فتقوي ... بنقل الدم ، عاد إليه نشاطه ، و عادت إليه حيويته ، و دخلت فيه قوة ... هكذا ايضاً التائب الراجع إلي الله ، حينما تدخله قوة من عمل روح الله فيه ... و لهذا كلما تجد نفسك ضعيفاً ، أرفع نظرك إلي فوق ، و قل للرب في صراحة تامة : **لماذا هذا الضعف في ؟ هل تخلت عني نعمتك بسبب خطاياي ؟ ...** اردنا يا الله . أنر بوجهك علينا فنخلص ... ما أجمل هذا المزمور ، الذي جعلته الكنيسة لحناً ترتله لله قائلة له في تضرع : إيها الرب إله القوات . إرجع و اطلع من السماء أنظر و تعهد هذه الكرمة التي غرستها يمينك (مز ٨٠ :١٤ ، ١٥) . **فهل يرجع الله و يتعهد هذه الكرمة ؟ و هل يريد لنا الله أن نرجع إليه ؟**

- **<u>الله يريدنا أن نرجع :</u>**

إنه يناديا في حب " إرجعوا إلي ، فأرجع إليكم " (ملا ٣ : ٧) . و تحمل هذه العبار كثيراً من المعاني العاطفية :

١- **إنه يذكرنا بأن أصلنا عنده ، و الخطية دخيلة علينا ...** و كأنه يقول لنا : ليس إنفصالكم عني هو وضعكم الأصلي . فوضعكم الأصلي هو الثبات في . لأني أنا الكرمة ، و أنتم الأغصان (يو ١٥ : ٥) و طبيعة الغصن أن يكون ثابتاً في الكرمة . و أنا الرأس ، ، أنتم الجسد ، أنتم الأعضاء (أف ٥ : ٢٣) . فثباتكم في أمر طبيعي . **لذلك لست أناديكم أن تأتوا إلي ، بل أن ترجعوا إلي ...** ترجعوا إلي الوضع الطبيعي الذي كان لكم منذ البدء ... ترجعوا إلي الصورة الإلهية التي كانت لكم يوم خلقتم ... إنفصالكم هذا ، وضع طارئ ، مؤقت ، لا يصح أن تبقوا فيه . و حياة البر و القداسة ليست جديدة عليكم ، بل هي طبيعتكم التي بدأت بها علاقتي معكم ، و التي تعيشون بها معي في الأبدية . ٢- تحمل عبارة " إرجعوا إلي " دليلاً علي حنو الله ... **فمن نحن التراب و الرماد، حتي يدعونا الله للرجوع إليه ؟!** لكنها محبة الله ، التي لا يعبر عنها ، التي تذكرنا بترتيلة " يا حبيبي ، عد إلي " . إنه يريد أن تظل عشرتنا به ثابتة ، هذا الذي لذته في بني البشر ، الذي يقول لنا " حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " (يو ١٤ : ٣) الذي إسمه

عمانوئيل ، أي الله معنا (مت ١: ٢٣) و قد جعل أورشليم السمائية هي " مسكن الله مع الناس " " الله وسط شعبه " (رؤ ٢١ : ٣) .

٢- **وحسن في هذا الرجوع ، أن تأتي المبادرة من الله .** فهو الذي يبدأ ، و هو الذي يطلب ، و هو الذي يدعونا إليه . بل هو من أجل هذا أرسل إلينا الأنبياء ، و وضع لنا سر التوبة . و وعدنا في رجوعنا أن ينسي القديم كله و لا يذكره بعد (أر ٣١ : ٣٤) . و لكن ما معني قوله " إرجعوا إلي ، فأرجع إليكم " ؟ هل معني هذا أن رجوعنا لا بد أن يسبق رجوعه ، أو شرط لرجوعه ؟! كلا ، إنما هو يقصد بهذا أن يقول :

٣- إن رجوعي إليكم مضمون . المهم أن ترجعوا أنتم ... أنا في أي وقت تطلبونني فيه ، تجدونني معكم . بل أنا واقف علي أبواب قلوبكم أقرع لكي تفتحوا لي (رؤ ٣ : ٢٠) . إنما المشكلة تأتي من جهتكم أنتم . " فإن سمع أحد صوتي و فتح الباب ، أدخل إليه " . . لذلك أقول " إرجعوا إلي " أي أفتحوا أبواب قلوبكم المغلقة دوني ... " فأرجع إليكم " أي أدخل إلي هذه القلوب التي أخرجتموني منها ، برفضكم إياي في خطاياكم ... **إرجعوا إلي ، فأنا موجود معكم . و لكنكم لا تشعرون بوجودي ...** حقاً لقد صدق القديس أوغسطينوس حينما قال : [كنت يا رب معي ، و لكنني أنا لم أكن معك] ... الله معنا ، يعمل لأجلنا ، حتي و نحن في عمق خطايانا . يبحث عنا و قد شردنا من حظيرته ، و يناديا أرجعوا إلي . ما معني إذن رجوعه إلينا ، إن رجعنا إليه ؟ **معني رجوعه إلينا ، هو أن نحس نحن بوجوده معنا ...** ليس رجوع الله هو الذي نفتقده . إنما الذي يلزمنا هو إحساسنا بوجوده معنا . فإن رجع إلينا هذا الشعور ، نشعر أن الله رجع إلينا ...أحياناً نظن أن الله قد تركنا ، بينما نكون نحن الذين تركناه . لذلك أذكر أنني في إحدي المرات (سنة ١٩٥٧) تأثرت بمنظر الشمس وقت الغروب ، و باتهامنا الباطل لها ، فكتبت في مذكرتي : **قلت لنفسي وقت الغروب : لم يحدث أن الشمس حجبت وجهها عن الأرض . إنما هي الأرض التي أدارت ظهرها للشمس .** نعم ، فالشمس ثابتة . و الأرض هي التي تدور حولها . و ما نسميه غروب الشمس ، ما هو تعبير عن دوران الأرض . كذلك في العلاقة بيننا و بين الله : نحس أنه غاب عنا ، لأننا نحن الذين درنا ، و لم يعد وجهنا متجهاً إليه . فإن رجعنا إلي الله ، نحس وجوده معنا ، و نحس نوره يشرق علينا ، لأن الله ثابت ، ليس عنده تغيير و لا ظل دوران (يع ١ : ١٧) . فأنظر أنت : في أي شئ قد إبتعدت عن الله ؟ في اية نقطة من الطريق قد إفترقت عنه ؟ أية خطية قد فصلتك عنه و عن محبته . و أعرف يقيناً أن هذا الإنفصال هو منك أنت . " فأذكر من اين سقطت وتب " (رؤ ٢ : ٥) . أما إحساسك ببعد الله عنك ، فهو إحساس بعدم وجود الدالة ، نتيجة لفتور محبتك أو للخطية التي أبعدتك عنه .

٤- عبارة " إرجعوا إلي " تحمل معني عاطفياً اخر و هو : **إن الله يريدنا أن نسير معه بكامل إرادتنا ، من كل القلب ، و بكل الحب ، لذلك يقول " إرجعوا إلي " .** و كأنه يقول : أنا لا أرغمكم علي محبتي ، و لا أضطركم علي تكوين علاقة معي . إنما الأمر متعلق بإرادتكم أنتم . إن أردتم أن أرجع إليكم ، فإني أرجع إليكم . و إن لم تريدوا ، إسلكوا حسب حريتكم ... و لعل إنساناً يقول : أريد و لكني ضعيف ... يكفي أن تريد ، و الله سيكمل معك . و كما قال أحد القديسين : [إن الفضيلة تريدك أن تريدها لا غير] ... **إن الله عبر التاريخ ، هو الذي بدأ العلاقة مع البشر ...** هو الذي بدأ علاقة مع أبينا نوح ، و إختاره و أنقذه ، و فصله عن الشر و الأشرار . و هو الذي بدأ العلاقة مع أبينا إبراهيم ، و إختاره ، و فصله عن الشر و الأشرار . و كذلك مع موسي و مع شعبه . و هو الذي بدأ علاقة مع الإثني عشر ، و قال لهم " لستم أنتم الذي أخترتموني ، بل أنا الذي أخترتكم " (يو ١٥ : ١٦) . **فإطئن إذن إلي رغبة الله في**

رجوعك إليه . و لكن في نفس الوقت ينبغي معه في الرغبة و العمل ... ينبغي أن تؤمن تماماً بلزوم الله لك في الحياة ، و أنك بدونه لا تقدر أن تعمل شيئاً (يو ١٥ : ٥) . و ينبغي أن تدرك من أعماقك حلاوة العشرة مع الله ، و سمو و جمال الحياة الروحية ، و الرجوع إلي صورة الله التي كانت لآدم النقي البسيط ... **ينبغي أن تذكر نذورك التي نذرتها لله في المعمودية ...** حينما نذرت أن تجحد الشيطان و كل أعماله الردية ، و كل شروره و كل حيله .وقتذاك بدأت بداية طيبة ، و ولدت من الله ، و لبست المسيح (غل ٣ : ٢٧) . و خلعت الإنسان العتيق ، و عشت في جدة الحياة (رو ٦ : ٤ ، ٦) . و صرت نقياً من كل خطية ... و شيئاً فشيئاً ، نسيت نذورك ، و نسيت بنوتك لله ، و تركت نقاوتك ، و إنفصلت عن الله . و تود الآن أن ترجع إليه ... **و لكي ترجع إلي الله ، أذكر أنك ملك له ...** أنت لست ملكاً لنفسك ، حتي تتصرف فيها كما تشاء . إنما أنت ملك لله الذي خلقك ، و الذي فداك . و هوذا القديس بولس الرسول يقول لنا " ... إنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد إشتريتم بثمن فمجدوا الله في اجسادكم و في أرواحكم التي هي لله " (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) . إن الشيطان قد سلبك من الله . و لكن الله – من حبه لك – يتمسك بملكيته لك ، و يقول : " إرجعوا إلي " . **إرجعوا إلي نقاوتكم ، التي كانت لكم و أنتم ثابتون في . إرجعوا إلي راحتكم ، فلا راحة لكم إلا في .** كل الذين بعدوا عن الله ، أو إنفصلوا عنه ، لم يجدوا راحة لأنفسهم ، و عاشوا في تعب و إضطراب . و لقد إختبر أوغسطينوس هذا الأمر فقال للرب : [ستظل قلوبنا قلقة ، إلي أن تجد راحتها فيك] . و الرب الذي يريد لنا الرجوع ، يقول لنا ، و نحن في تعب العالم و همومه " تعالوا إلي جميع المتعبين و الثقيلي الأحمال ، و أنا أريحكم " (مت ١١ : ٢٨) . **إن رجعت إلي الله تنحل كل مشاكلك ...** بل تعيش بلا مشكلة لأن المشكلة الوحيدة الحقيقية في حياتك هي الإنفصال عن الله . و كل المشاكل الباقية قد تكون نتيجة لها . فإن رجعت إلي الله ، تحيا في سلام ... في سلام مع الله ، و سلام مع نفسك و داخل قلبك . " لأنه هكذا قال السيد الرب **"بالرجوع و السكون تخلصون . بالهدوء و الطمأنينة تكون قوتكم" (أش ٣٠ : ١٥).** لذلك إرجع إلي الرب . إرجع إلي النور ، فلا تسلك في الظلمة . إرجع إلي الروح ، فلا تحيا للمادة ، و لا حسب الجسد . إرجع إلي الحياة ، فالخطية موت ... **و بهذا يتجدد مثل النسر شبابك** (مز ١٠٣ : ٥) . و تشعر بالعزاء في حياتك الروحية ، و تدب الحرارة في حياتك ، و يصير لحياتك طعم ، و يصير لها هدف . و تشعر أن الله داخلك ، و أنه معك ، و تذوق ملكوته ، و تختبر حلاوة العشرة معه ، و تعرف معني عبارة " الإلتصاق بالرب " (مز ٧٣ : ٢٨) . **إن الله يريدنا أن نرجع إليه . يريد لنا الخلاص ، و يريد منا أن نحبه كما أحبنا ...** لذلك هو يقول " إرجعوا إلي بكل قلوبكم " (يوئيل ٢ : ١٢) . و يسجل لنا الوحي الإلهي هذه العبارة الجميلة " هل مسرة أمر بموت الشرير – يقول السيد الرب – إلا برجوعه عن طريقه فيحيا " (خر ١٨ :٢٣) . إن الله يريدنا أن نرجع إليه ، لنحيا ... ذلك لأن الخطية حالة موت روحي علي الأرض ، و نتيجتها الموت الأبدي ...**إذن فالله يريدنا أن نرجع ، من أجل صالحنا ...** يضاف إلي هذا حنوه و محبته ، لأنه لا يسر بموت الخاطئ . إن موت الخاطئ أمر يحزن قلب الله بلا شك . و لهذا فإنه إذا رجع الخاطئ " يكون فرح في السماء " (لو ١٥ : ٧) . و لقد فرح الرسل و بشروا التلاميذ برجوع الأمم (أع ١٥ : ٣) ... و إستخدم الكتاب عبارة " رجوع " بالنسبة إلي الأمم ، ذلك لأن الإيمان هو الوضع الآصلي للبشرية عموماً ، قبل أن ينفصل الأمم عن هذا الإيمان و عن الله . فلما آمنوا أعتبر هذا رجوعاً إلي الله ... إعرف يا أخي حقيقة هامة و هي : **إن الله يريد رجوعك**

إليه ، أكثر مما تريد أنت ... فقد يكون الإنسان الخاطئ غافلاً عن خلاص نفسه ، لا يفكر أن يرجع إلي الله . أو قد يكون ملتذاً بالخطية ، راغباً في البقاء فيها ، شاعراً إن الرجوع إلي الله سيحرمه من كل ملاذه ... و في كل ذلك يكون الله في سعي مستمر إرجاع هذا الخاطئ إليه . بكافة الطرق . **و قصص سعي الله وراء الخطاة كثيرة جداً ...** ذكر منها في الأصحاح ١٥ من الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير ، قصة الخروف الضال ، و قصة الدرهم المفقود . و ذكر إنجيل يوحنا سعي الله لرد المرأة السامرية في وقت لم تكن تفكر فيه إطلاقاً أن تلتقي معه .و كذلك وقوف الله علي الباب و هو يقرع ، يطلب من النفس أن تفتح له ... و ما لي أذهب بعيداً ... إن كل رسالات الأنبياء تتركز حول هذا الموضوع هو رغبة الله في رجوعنا إليه ... و ليس مجرد الرغبة ... و إنما العمل علي ذلك أيضاً . **و هنا نسأل :** إن كان رجوعنا إلي الله ، مفرحاً لله ، و الله يريده و يسعي إليه ، و نحن أيضاً نريده ... فكيف إذن نرجع إليه ؟ أتسأل : كيف أرجع إلي الله ؟ إن الصلاة هي الوسيلة الفعالة التي ترجعك إلي الله .

- **الصلاة هي وسيلة الرجوع :**

أسكب نفسك أمام الله و قل له : أنا أريدك . أريد أن أرجع إليك . فإنتشلني مما أنا فيه ، و إجذبني إليك مرة أخري . **أنا بدونك لا شئ . لقد فقدت حياتي حينما فقدتك.** فقدت لذتي و سعادتي . و أصبحت حياتي بلا طعم ... أنا يا رب أريد أن أرجع إليك . و لكن " أعائي قد اعتزوا أكثر مني " . إنهم " يتهللون إن أنا زللت " (مز ١٢) . " و كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بالهه " (مز ٣) . لقد فقدت قوتي لما بعدت عنك ، فأعطني قوة من عندك . أعطني المعونة الإلهية التي بها أرجع إليك . إلق نفسك أمام الله ، صارع معه . و قل له : **سوف لا أقوم من هنا ، إلا و قد أخذت منك بركة خاصة ، و شعرت أنك أرجعتني إليك و حسبتني من أولادك . لست أريد فقط أن تغفر لي خطيتي ، إنما أريد أن تنزع من قلبي كل محبة للخطية علي الإطلاق ...** لا استطيع أن أرجع إليك ، و محبة الخطية في قلبي . فماذا أفعل ؟ هل أنتظر إلي أن تزول محبة الخطية من قلبي ، ثم أرجع إليك ؟ بينما لا يمكن أن أتخلص منها إلا بك ...! ها أنا آتيك بخطيتي كما أنا . و أنت الذي تنزعها مني . **لو كنت أقدر أن أترك محبة الخطية ، لرجعت إليك منذ زمان . فخلصني أنت منها ، لتقودني في موكب نصرتك** . إنزع محبتها من قلبي ، و إنزع سيطرتها من إرادتي ... " انضح علي بزوفك فأطهر ،و أغسلني فأبيض أكثر من الثلج " كما أعطيتني يا رب الوصية ، أعطني القوة علي تنفيذها ... **صدقوني يا أخوتي ، إن الإنسان الناجح في صلاته ، هو الإنسان الناجح في توبته** ... و صدق مار إسحق قال :[إن الذي يظن أن هناك طريقاً آخر للتوبة غير الصلاة ، هو مخدوع من الشياطين] . ذلك لأنك بالصلاة ، تأخذ القوة التي ترجع بها إلي الله . لذلك أغصب نفسك علي عمل الصلاة ، أكثر من أي عمل روحي آخر و في صلاتك صارع مع الله . جاهد معه و ناقشه ، حتي و أنت في خطيئتك التي تريد التخلص منها . **صمم في صلاتك ، أن تأخذ من الله القوة لترجع إليه ...** البعض يظن أنه في صلاته يعطي ... ! يعطي الله كلاماً و وقتاً و مشاعر . بينما الصلاة في عمقها هي عملية أخذ . تشعر فيها أنك قد أخذت من الله متعة روحية ، و بركة ، و قوة و معونة ، و قدسية في الحياة . بل يكفي أنك أخذت في وقت الصلاة صلة به ... و الله مستعد أن يسمع لصلاتك

و يعطي ، و لكن المشكلة هي : **إن كثيرين لا ينتظرون في صلواتهم ، حتي يأخذوا ...!** الواحد منهم يقول كلمتين في صلاته ، ثم يسأم بسرعة ، و يمل البقاء في الصلاة ، و يمضي دون أن يأخذ شيئاً ...!! و الله ينظر إلي هذا(المصلي) كيف مضي هكذا سريعاً و لم ينتظر ليأخذ ، و لو وعداً ، و لو عزاء . **إمسك بالله إذن . و قل له لا أتركك ... لا أتركك حتي أشعر أنك قبلتني إليك ، و أرجعني إليك و إلي محبتك ...** الصلاة تحتاج إلي طول بال . تحتاج إلي صراع مع الله ، تثبت به أنك جاد في طلبتك ، و جاد في طلب التوبة ، و في طلب المعونة للرجوع . بحيث إن إستجاب الله و أعطاك قوة ، سوف تستخدمها حسناً و لا تهملها ... **ناقش الله – بدالة – في صلاتك و قل له :** هل يفشل الضعفاء في الوصول إلي ملكوتك يا رب ؟ هوذا أنا ضعيف ، عاجز بذراعي البشري عن الوصول ، فامسك أنت بيدي ، و لا تتركني لضعفي . و اغسلني و طهرني ، كما غسلت و طهرت غيري ... ألم تقل " اسألوا تعطوا " (مت ٧ : ٧) . هوذا أنا أسأل ألم تقل " كل ما طلبتموه من الآب بإسمي يعطيكم " (يو ١٦ : ٢٣) ؟ هوذا أنا أطلب . **أنا يا رب سأتمسك بجميع وعودك ، و أطالبك بها ...** علي الأقل سأتمسك منها بقولك " ... أعطيكم قلباً جديداً ، و أجعل روحاً جديدة في داخلكم . و أنزع قلب الحجر من لحمكم ، و أعطيكم قلب لحم . و أجعل روحي في داخلكم . و أجعلكم تسلكون في فرائضي ، و تحفظون أحكامي ، و تعملون بها " (مز ٣٩ ك ٢٦ ، ٢٧) . أين هذه الوعود بالنسبة إلي أنا يا رب ؟ **هوذا أنا واقف هنا ، ممسكاً بقرون المذبح ...** الذين يصلون دقيقتين ثم يمضون ، أنا لست واحداً منهم . أنا مرابط لك هنا يا رب . لن أترك صلاتي ، حتي أخرج منها و قد أنعمت علي بالتوبة و أرجعتني إليك . و مع ذلك أغفر لي يا رب جرأتي ، فأنا إبن صغير لك ، و إن كنت قد ضللت . عاملني كإبن صغير لا يعرف شيئاً . و أنت – كأب شفوق – تعرف كيف تعطي أولادك عطايا حسنة (مت ٧ : ١١) . **هكذا جاهد مع الله ن باللجاجة ، بالتذلل ، بطول الأناة ، بدالة ، بالبكاء ، بالنقاش ، باية الوسائل ... حتي تأخذ ...** بمثل هذا الصراع ، ثق أنك ستأخذ من صلاتك ، او في صلاتك ، عزاء و حرارة ، و تشعر أن موضوع الإنفصال عن الله قد إنتهي تماماً ، و أنك لم تكن تكرر الكلام باطلاً كالأمم ، إنما كنت تسكب نفسك سكيباً أمام الله ، كما فعلت حنة أم صموئيل . كانت تصلي صلاة ، و تبكي بكاء ، و تنذر نذراً . و لم تخرج من الهيكل إلا و قد أخذت وعداً ، بأن الرب قد أعطاها سؤل قلبها (١ صم ١ : ١٠ ، ١٧) . **هكذا أنت ، لا تخرج من صلاتك ، إلا و قد كونت علاقة جديدة مع الله ، و رجعت إليه** . و طبيعي ، ليس ممكنا لك – بعد صلاة كهذه – أن تترك الصلاة و تخطئ إلي الله ! ستخجل لا بد من صلاتك ، و من قولك لله : لا أتركك ... و هكذا فإن الصلاة تعلم التوبة ، و تقود الإنسان في الرجوع إلي الله و إلي محبته ... **و لكنك لعلك تقول : ليست لي الحرارة التي أصلي بها .** نصحيتي لك أن تصلي كما أنت و قل له : سامحني يا رب إن كنت أصلي بدون حرارة . فإنا أصلي بالفراغ الذي في قلبي . و أنت الذي تعطيني الحرارة . و أنت الذي تسكب نارك المقدسة في قلبي ... خذ صلاتي كما هي ، بنقصها ، فالأمور لا تبدأ كاملة . و الكمال هو من عندك . **أنا أصلي ، و لو بدون روح ! و أنت تمنحني الروح من عندك.** هل أخطي و أقول لك يا رب ، إنني بذراعي البشري و بارادتي المنحلة ، سأتحول إلي إنسان روحي ! كلا ، إنما بقوتك ، و بركتك ، و نعمتك ، و روحك القدوس ، ساصير في الصورة التي تريدها لي ، بقيادتك أنت : تمسك يدي ، و تقودني خطوة خطوة ، كما تقود طفلاً صغيراً يتعلم المشي ... أريدكم أن تصلوا هكذا ، و تأخذوا من الرب . **و إنصتوا في صلواتكم إلي صوت الله ، يتكلم في قلوبكم.** كما قال داود في مزموره " إني أسمع ما يتكلم به الرب الإله ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه و

لقديسيه ، و للذين رجعوا إليه بكل قلوبهم " (مز ٨٤) . كان يبدأ المزمور بالطلب ، و يشعر بالإستجابة ، فيهنيه بالشكر يقول " يا رب لا تبكتني بغضبك و لا تبكتني بسخطك " . و لكنه في نهاية المزمور ، يقول " ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم . فإن الرب قد سمع صوت بكائي . الرب سمع تضرعي . الرب لصلاتي قبل " (مز ٦) . **هذه الصلاة ، هي التي تشعر بها أن الحاجز المتوسط ، الذي بينك و بين الله قد زال ...** و تشعر أن ملائكة صاعدون علي السلم الإلهي بصلاتك ، و نازلون و معهم ما تطلب (تك ٢٨ : ١٢) . تشعر بيد الله تمتد ، لتمسح كل دمعة من عينيك . و تتحقق فيك طلبة داود النبي في المزمور الكبير " لتدخل طلبتي إلي حضرتك " (مز ١١٩) . و هكذا تشعر أن واحداً من الأربعة و العشرين كاهناً ، قد أخذ صلاتك ، و وضعها في مجمرته الذهبية ، و أصعدها بخوراً زكياً إلي عرش الله (رؤ ٥ : ٨) . تشعر أن واحداً من السارافيم ، قد أخذ جمرة من علي المذبح ، و مسح بها شفتيك ، و قال لك : قد إنتزع إثمك (اش ٦ : ٦ ، ٧) . نعم بمثل هذه الصلاة ، يمكنك أن ترجع إلي الله ... فلنصرخ إذن إليه و نقول " أرددنا يا إله خلاصنا " (مز ٨٥ : ٤) . " أردد سبينا مثل السيول في الجنوب " ... حينئذ " يمتلئ فمنا فرحاً و لساننا تهليلاً " و نقول : " عظم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين " (مز ١٢٦ : ٤ ، ٢ ، ٣) .

- **الضيقة سبب للرجوع إلي الله :**

ليست كل الضيقات التي تصيبنا من نوع واحد :

فهناك ضيقات تصيب الإنسان ، كصليب يحمله لأجل الله ، و ينال إكليله ، كما حدث للرسل و رجال الإيمان (عب ١١ : ٣٦ ، ٣٧) . و ضيقات أخري تكون لإختبار الإيمان ، أو لتعلمنا الصلاة (يع ٥ : ١٣) . أو لنتقدم بها مثالاً للصبر كما حدث لأيوب (يع ٥ : ١١) . و هناك ضيقات هدفها أن يشعر الإنسان بضعفه ، فيتضع كما حدث للقديس بولس " لئلا يرتفع من فرط الإعلانات " (٢ كو ١٢ : ٧) . **و هناك ضيقات أخري تأتي من تخلي النعمة بسبب خطايانا ...** و عن هذا النوع أود أن أكلمكم اليوم ... (*)

ملاحظة

(*) القيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية مساء الجمعة ١٩٧٧/٨/١٩ م .

و هذه الضيقات التي تأتي نتيجة للتخلي ، لا يمكن أن تزول عن طريق الذراع البشري أو الحكمة البشرية . فهي لا تجد حلاً ، إلا بوسيلة واحدة ، و هي قول الرب لنا : **" إرجعوا إلي ، أرجع إليكم " (ملا ٣ : ٧).** فإن رجع الإنسان إلي الله بالصلاة و الصوم و التذلل ، و إن رجع إليه بالتوبة الصادقة . حينئذ يرجع الله إلي هذا التائب ، و تعود النعمة إليه كما كانت في القديم ، و تنتهي فترة التخلي ، فتنتهي الضيقة تبعاً لذلك ، إذ قد زالت أسبابها . **و ما أكثر الأمثلة التي توضح ذلك ، في سفر القضاة ...** يقول الكتاب " فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ، و عبدوا البعليم . و تركوا أبائهم ... و ساروا وراء آلهة أخري من آلهة الشعوب الذين حولهم ، و سجدوا لها ... تركوا الرب ، و عبدوا البعل و عشاروت . فحمي غضب الرب علي إسرائيل ، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم ، و باعهم بيد

أعدائهم حولهم . و لم يقدروا علي الوقوف أمام أعدائهم ..." (قض ٢ : ١١ – ١٤) . **لم يقدروا علي الوقوف ، لأن يد الرب لم تعد معهم ...** لما كانت يد الرب معهم ، شق لهم البحر الأحمر ، و أغرق فرعون و جنوده . و فجر لهم من الصخرة ماء . و ضرب عوج ملك بشان ، و سيعون ملك الأموريين ، و لك شعوب الأرض ... في هذه المرة ، دفعهم إلي أيدي أعدائهم ، فلم يقدروا عليهم . و وقف أمامهم قول الرب : " إرجعوا إلي ، أرجع إليكم " . **و كانوا حينما يصرخون إلي الرب ، يسمع بكائهم ، و يخلصهم ...** و من أعمق حنو الرب ، حتي في فترة تخليه . إذ يقول عنه الكتاب إنه عاد " و خلصهم من أيدي أعدائهم ... لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم و زاحميهم " (قض ٢ : ١٨) . **إذن في كل ضيقاتك ، لا تقل : ماذا أفعل بأعدائي الذين قدروا علي ؟ إنما قل : هل يد الله معي أم لا ؟** هل أنا تركت الله ، فتركتني نعمته ، كما كانت معي في القديم ؟ و إنصت إلي قول الرب " إرجعوا إلي ، أرجع إليكم " . و بسرعة إرجع إلي الرب ، تجد المعونة الإلهية قد رجعت إليك ، و جعلتك – كما حدث لأرميا – " مدينة محصنة ، و عمود حديد ، و أسوار نحاس ... فيحار بونك ، و لا يقدرون عليك . لأني أنا معك – يقول الرب – لأنقذك " (أر ١ : ١٨ ، ١٩) .**و القصة في سفر القضاة تتكرر ...** أخطأ الشعب و فعلوا الشر ، و عبدوا البعليم ، فباعهم الرب بيد كوشان ملك أرام (قض ٣ : ٨) فصرخوا إلي الرب ، فأقام لهم مخلصاً فخلصهم . كان عليهم روح الرب . و دفع الرب ليده كوشان ... " و إستراحت الأرض أربعين سنة " (قض ٣ : ١٩ : ١١) . في كل مرة كانت تشتد عليهم الضيقة ، كانوا يرجعون إلي الله ، فيرجع و يخلصهم . ثم يرجعون إلي خطاياهم و إلي عبادة ألصنام ، فتعود ضيقاتهم . و يصرخون إلي الرب فيرجع و يخلصهم . **و نسير مع التاريخ ، فنسمع عن السبي إلي بابل و أشور ...** كان ايضاً بسبب الشر و عبادة الأصنام . و بكي أولاد الله علي أنهار بابل ، و علقوا قيثاراتهم علي أشجار الصفصاف (مز ١٣٧) . و فيما هم مسبيون ، كانت ترن في آذانهم عبارة " إرجعوا إلي ، فأرجع إليكم " . و ظهر في السبي قديسون مثل دانيال النبي ، و الثلاثة فتية ، و حزقيال النبي . و ظهر رجال إيمان لهم غيرة مقدسة مثل نحميا و عزرا و زر بابل ... و رجع الرب عن حمو غضبه ، و رد سبي شعبه ... **و كيف رجع الرب إليهم ؟ و رجع بدموع نحميا و عزرا ...** لما سمع نحميا أن سور أورشليم منهدم ، و أبوابها محروقة بالنار ، إلتهب قلبه ، و قال " جلست و بكيت ، و نحت أياماً و صليت ... و قلت أيها الرب ... أنا و بيت ابي قد أخطانا ، و قد أفسدنا أمامك ... يا سيد ، لتكن أذنك مصغية إلي صلاة عبدك ... " (نح ١ : ٣ – ١١) . و رجع الرب . و أعطي نعمة لنحميا في عيني كورش ملك فارس . و استطاع أن يبني أسوار أورشليم . **و عزرا : بكي بسبب أخطاء الشعب ، و مزق ثيابه ...** و في وقت المساء ، قام من تذلله ، و جثا علي ركبتيه في ثيابه الممزقة ، و بسط يديه إلي الرب و قال : اللهم إني أخجل و أخزي من أن أرفع يا إلهي مجهي نحوك . لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، و آثامنا تعاظمت إلي السماء ... قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا ، و أعطيتنا نجاة كهذه . و أفنعود و نتعدي و صاياك ...؟! ... أيها الرب ... أنت بار ، لأننا بقينا ناجين إلي هذا اليوم " (عز ٩ : ٣ – ١٥) . و صار عزرا و صام الشعب معه (عز٨ : ٢١) . و بكي ، و أبكي الشعب معه بكاء عظيماً (عز ١٠ : ١) . و سمع الرب و عاد إلي شعبه . **و استطاع عزرا بصومه و صلاته و بكائه ، أن يرجع الشعب كله إلي الله ، و يرجع الله إلي الشعب .** في القصص السابقة ، خطية الشعب كله أغضبت الله ، فتخلي عنهم . و صلاة و بكاء إنسان واحد ، أرجعت الله إلي شعبه ... و قد تكون خطية إنسان واحد هي سبب الضيقة كلها ، مثل خطية عخان بن كرمي (يش ٧) . و مثل هروب يونان

من الله (يو ١) . إذن إرجع إلي الله ، ليس من أجل نفسك فقط ، إنما أيضاً من أجل كل المحيطين بك ... **و في كل تعب يحيط بك و بهم ، فكر أن ترجع إلي الله ...** لا تفكر في الأناس المتعبين المحيطين بك ، إنما فكر في نفسك أنت ، في علاقتك بالله ، في رجوعك إليه ... و ثق أن أقسي الأعداء و أشدهم بطشاً ، لا يحتملون عيناً طاهرة ، مبللة بالدموع ، مرتفعة إلي الله ... و لا يحتملون قلباً نقياً يتكلم مع الله ، و لا أيادي طاهرة مبسوطة أمامه **... إن علاقتنا مع الناس ، مجرد علاقات جانبية سطحية ...** المهم كله هو في علاقتنا مع الله . أما علاقاتنا مع الناس ، فهي مجرد نتيجة لعلاقتنا مع الله ... تتغير ، بتغير العلاقة معه ... ايوب الصديق أخذ السبئيون بقره و أتنه ، و أخذ الكلدانيون جماله (أي ١ : ١٤ – ١٧) فلم يقل أنهم أخذوها ، إنما قال " الرب أخذ " (أي ١ : ٢١) . إرجع إذن إلي الله ، فيرد لك كل شئ ... **إن رجعت إلي الله ، لا يقوي عليك الشر ، و لا الأشرار .** ليس فقط لا يقوي عليك أعداؤك الذين يتهللون إن أنت سقطت (مز ١٢) . و إنما حتي الشياطين لا يقدرون عليك ، مهما أحاطوا بك مثل النحل حول الشهد و التهبوا كنار في شوك (مز ١١٧) . فكما قال داود " مراراً كثيرة حاربوني منذ صباي ... مراراً كثيرة قاتلوني منذ شبابي ... و إنهم لم يقدروا علي " (مز ١٢٩) . **و لا خطية و لا شهوة ، تقدر عليك ...** لأن الرب معك . يعطيك القوة و المعونة ، و يقودك في موكب نصرته (٢ كو ٢ : ١٤) . أما إن تخلت عنك النعمة ، فإن أقل فكر بقدر عليك ، و تضعف مقاومتك . حينئذ تسمع قول الرب في أذنيك " إرجعوا إلي ، أرجع إليكم " لذلك ارفع قلبك إلي الله ، و إرجع إليه ، لترجع إليك القوة . ما معني عبارة " أرجع إليكم " ؟ معناها : أرجع إليكم بكل قوتي و معونتي . و أرجع إليكم بكل حبي . و نعود كما كنا . كأن خطاياكم لم تكن " لا أعود أذكرها بعد " (أر ٣١ : ٣٤) و بإختصار : **أرجع إليكم أي أصطلح معكم ...** فلنتحدث إذن عن الصلح مع الله ...

الصلح
مع الله

" نسعي كسفراء عن المسيح
كأن الله يعظ بنا
نطلب عن المسيح :
تصالحوا مع الله "
(٢ كو ٥ : ٢٠)

الخطية خصومة مع الله

الخطية توجد خصومة مع الله : فالإنسان الخاطئ هو إنسان يقاوم الله : يتحداه و يكسر وصاياه . و يترك مشيئة الله ، لينفذ مشيئته الخاصة ، مستقلاً عن الله ن منفصلاً عنه . يحب الخطية أكثر منه ، مهما إدعي بلسانه أنه يحب الله ! الخاطئ يهرب من الله . لا يحب الحديث معه . و إن وقف يصلي ، ينطبق عليه قول الرب " هذا الشعب يكرمني بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عني بعيداً " (مز ٧ : ٦) . و هكذا تكون صلاته ، بغير حب ، بغير عاطفة ، بغير روح ، ربما لمجرد تأدية واجب ، أو للرضي عن النفس . الخاطئ لا يتحدث كثيراً عن الله . و لا يشعر بدالة معه . هو غريب عنه . و قد أوجدت الخطية حاجزاً متوسطاً ، بينه و بين الله ... **و قد تتطور الخطية من مستوي الخصومة ، إلي العداوة** . و في ذلك يقول القديس يعقوب الرسول إن " محبة العالم عداوة لله " (يع ٤ : ٤) . و يقول القديس يوحنا الإنجيلي " إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب " (١ يو ٢ :١٥) . **و لأن الخطية خصومة مع الله ، نبدأ قداساتنا بصلاة الصلح ...** فقبل أن نرفع الإبرسفارين ، لنصلي قداس القديسين ، نصلي صلاة الصلح ، لأنه ينبغي أن نصطلح مع الله و الناس أولاً ، قبل أن نصلي ، و قبل أن نتقدم إلي السرائر المقدسة . و هكذا نخاطب الله الإبن في القداس الغريغوري قائلين " صرت لنا وسيطاً لدي الآب . و الحاجز المتوسط نقضته . و العداوة القديمة هدمتها . و صالحت الأرضين مع السمائيين " ... **إن أبشع ما في الخطية ، كونها موجهة ضد الله نفسه :** و قد كان داود النبي يدرك هذه الحقيقة جيداً ، لذلك قال للرب في مزمور توبته (مز ٥٠) : " لك وحدك أخطأت ، و الشر قدامك صنعت " ... لا شك أن داود كان قد أخطأ إلي اوريا الحثي ، و إلي بثشبع زوجة أوريا . كما أنه أخطأ إلي نفسه ، إلي عفته و طهارته ، و إلي أبديته ... و مع ذلك فإن كل ذلك لم يكن هو الشئ الرئيسي أمام عينيه ، قال للرب : " لك وحدك أخطأت " ... ذلك لأن الخطية هي في أصلها ضد الله ، ضد وصاياه ، و ضد محبته ... و نتيجة لذلك ضد الآخرين . و يوسف الصديق ، أدرك نفس هذه الحقيقة ، فقال كذلك : **كيف أصنع هذا الشر العظيم ، و أخطي إلي الله ؟!** و لم يقل : أخطئ إلي فوطيفار ، أو إلي زوجة فوطيفار ... إنما قال " أخطي إلي الله " ... (تك ٣٩ : ٩) . ذلك أن الخطية هي عصيان لله و مخالفة ، و عدم محبة له ، و طرد له من القلب ، و تمرد عليه و إستهانة بوصاياه ... و لهذه السباب كلها خاف آدم بعد سقوطه ، و اختبأ من وجه الله ، لأنه عرف أنه بالخطية قد أغضب الله ... نعم إننا بالخطية ، نحزن روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) . **النتيجة الأولي للخطية هي إغضاب الله . و الثانية هلاك الإنسان ...** و للخلاص من النتيجة الأولي ، كانت تقدم المحرقات (لا ١) . و للخلاص من النتيجة الثانية ، كانت تقدم ذبائح الخطية و الإثم (لا ٣) .و قد جاء السيد المسيح ليقدم بنفسه عمل هاتين الذبيحتين : فيصالح قلب الآب الغاضب ، كذبيحة محرقة . و يخلص الإنسان الهالك ، كذبيحة خطية . و لعل مما يؤلم قلب الإنسان جداً ، ليس فقط إنه أخطأ إلي الله و إنما بالأكثر أنه دخل في خصومة مع الله . و أصبح الله غير راض عنه ... **ذبيحة المحرقة ، كانت لمصالحة الله ، لإرضاء قلبه الغاضب ...** لذلك كانت أولي الذبائح في شريعة موسي . و قد ذكرت في الأصحاح الأولي من سفر اللاويين . و قيل إن مقدمها يقدمها " للرضا عنه أمام الرب " (لا ١ : ٣) . و ثلاث مرات قيل عنها في نفس الأصحاح إنها " رائحة سرور الرب " (لا ١ : ٩ ، ١٣ ، ١٧) . و لأن الغرض منها كان محدداً في هذه النقطة وحدها ، و هي إرضاء الله ، و إيفاء عدله . و ليس غرضها خلاص الإنسان (الذي تمتثله ذبيحة الخطية) ، لذلك لم يكن أحد يأكل منها ، كما كان يفعل في ذبيحة الخطية .و إنما كانت تأكلها النار كلها ، حتي تتحول إلي رماد (لا ٥ : ٨ : ١٣) . و النار تمثل العدل الإلهي . و كأن مقدم المحرقة يقول للرب أثناء تقديمها : **ليس ما يهمني الآن هو خلاصي ، إنما يهمني رضاك ...** من أنا – التراب الرماد – حتي أقدم أولي

الذبائح عن نفسي ؟! أخلص أولا أخلص ، ليس هذا هو الأمر الذي نضعه في الدرجة الأولي ... إنما قبل كل شئ ، قلبك أنت يا رب ، يكون راضياً عني و أفعل بي بعد ذلك ما تشاء . أنا أخطأت إليك . و أريد أن اصالحك . و بعد أن اصالحك يأتي طلب المغفرة . و من غير أن أطلب ، أنت ستغفر . إنه شعور الإبن ، الذي يهمه قبل كل شئ إرضاء أبيه . و ليس شعور العبد ، الذي كل إهتمامه في التخلص من العقوبة ... فهل لديك هذا الحرص علي إرضاء أبيك السماوي و مصالحته ظ و هل تسعي لتصطلح مع الله ، أم تفعل مثلما فعل آدم إذ هرب من الله و اختبأ منه ... ؟! أم أنت تقول كما قال أيوب الصديق " ليس بيننا مصالح ، يضع يده علي كلينا " (أي ٩ : ٣٣) . هل تشعر أن الخطية قد أبعدتك عن الله ، و اوجدت خصومة بينك وبينه ؟ إني أقول لك ما هو أكثر :

الخطية خيانة لله

إن الخطية عموماً هي خيانة . و الإنسان الخاطئ يخون محبة الله العطوف ، الذي أحبنا حتي منتهي (يو ١٣ : ١) . و غمرنا بإحساناته . الله الذي إعتبرنا أولاداً ، و صار أباً لنا : إذا ما أخطأنا إليه نكون خائنين لأبوته . كما أننا في الخطية نكون خائنين للعهود التي عاهد بها الله في معموديتنا ، و في أوقات التناول ، و في الأوقات التي أنقذنا منها . **إننا نخون الله ، لأننا – نحن أولاده و خاصته – ننضم إلي أعدائه الشياطين ، و ننكره مقابل شهواتنا ...** لهذا فإن الله يطلب إلينا أن نكون أمناء ... قائلاً لكل منا " كن أمينا إلي الموت ... " (رؤ ٢ : ١٠) . و لكننا في الخطية نخون هذه الأمانة . و لا تكون قلوبنا ثابتة في محبة الله ، بل هي تهتز مع كل هوي ، و مع كل رغبة . و ليس لها الحب الأمين الثابت . إن كانت مقاومات الأعداء ، تعتبر عداوة و ليس خيانة ... **فإن تعديات الأبناء و المحبين ، تعتبر بلا شك خيانة ...** و نحن أبناء الله ، دعي إسمه علينا ، كيف نقاومه ، و ننضم إلي أعدائه ؟ و نبيع أنفسنا التي أشتراها بدمه و نطرد روحه القدوس من قلوبنا ؟ ... ألا نعتبر كل هذه خيانة ؟! ربما كان هناك عذر للذين لم يعرفوا الله من قبل . أما الذين عرفوه ، و عاشروه ، و ذاقوه ، و أنعم عليهم بأسراره المقدسة . ثم بعد ذلك رفعوا عقبهم عليه ... كيف لا يكونون خائنين لعشرته و محبته ؟ و الله نفسه ، سمي هذا الإرتداد عنه خيانه ... فقال : " خيانة خانني بيت إسرائيل و بيت يهوذا " (أر ٥ : ١١) . سرقة عخان بن كرمي ، اعتبرت خيانة للرب (أش ٧ : ١) . و تزوج الشعب من نساء أجنبيات ، سمي خيانة أيضاً (عز ١٠ : ٢) . و قال الكتاب إن شاول الملك " مات بخيانته التي بها خان الرب . من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه . و أيضاً لأجل طلبه إلي الجان " (١ أي ١٠ : ١٣) . و أعتبر تقصير الكهنة و اللاويين في خدمة بيت الرب خيانة . و لذلك قال حزقيال الملك الصالح " لأن أباءنا خانوا ، و عملوا الشر في عيني الرب إلهنا و تركوه ، و حولوا وجوههم عن مسكن الرب ... و أطفأوا السرج ، و لم يوقدوا بخوراً . و ولم يصعدوا محرقة ..." (أي ٢٩: ٦ ، ٧) . **ما دامت الخطية خصومة و خيانة ، إذن ينبغي التصالح مع الله .** يرجع القلب إليه ، و يعترف بخيانته . و ينسحق و يتذلل قدامه . لكي يغفر و تبدأ علاقة جديدة بقلب جديد ، أمين ... و المقصود أن يكون صلحاً دائماً لا رجوع فيه . لأنك إن صالحت أحداً ، و إبتسمت في وجهه ، و رجعت في باكر أغضبته و أهنته ، لا يكون هذا صلحاً ... فالصلح هو رجوع المحبة الحقيقية ، الثابتة ... إن تاريخ الخطية ، ينتهي بالصلح مع الله ... **علي أن العجيب ، هو أن الله ، الذي جحدناه نحن ، هو الذي يسعي إلي هذا الصلح ، بكل الوسائل ...!**

الله يصالحنا

كل الأنبياء و الرسل الذين أرسلهم الله إلي العالم . ماذا كان عملهم سوي : إقامة صلح بين الله و الناس ...أنظروا إلي القديس بولس الرسول ، إذ يقول : " نسعي كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا ... **" نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله "** (٢ كو ٥ : ٢٠) . إذن فالسيد المسيح ، هو الذي

يرسل هؤلاء السفراء إلينا ، طالباً منا أن نصطلح معه ... ما أعجب هذا الحب ! ربما يكون من الصعب عليك أن تذهب إلي شخص لتصطلح معه ، و أنت لا تعرف هل يقبل منك الصلح أم لا . أما هنا ، فإن الله هو الذي يريد الصلح ، و يطلبه ، و يرسل من أجله رسلاً ، و يعمل فيه بنعمته و بروحه القدوس ... و يقول للبشرية " هلم نتحاجج ..." (أش ١ : ١٨) . و ليس هذا فقط ، بل يسعي حتي لمصالحة المعاندين و المقاومين . و يقول : **" مددت يدي طول النهار ، لشعب معاند و مقاوم " (رو ١٠ : ٢١).** تصور إن الله يمد يده طول النهار طالباً مصالحة هؤلاء المعاندين . و عبارة (طول النهار) تعني طول أناته ، و طول إنتظاره ، فهو لا يمل من السعي لمصالحة الخطاة ... هو الذي ينظر إلي قلبك و يقول : " ها هو موضع راحتي إلي أبد الأبد . ههنا أسكن لأني أشتهيته " (مز ١٣٢ : ١٤) . و هو الذي يقول لنفسك العزيزة عليه " إسمعي يا إبنتي و أنظري ، و أميلي سمعك . و إنسي شعبك و بيت أبيك . فإن الرب قد إشتهي حسنك . لأنه ربك ، و له تسجدين " (مز ٤٥ : ١٠ ، ١١) . **بل أن مصالحة الرب للبشر ، هي سبب التجسد الإلهي ...** و في ذلك يقول القديس يعقوب السروجي : [كانت هناك مخاصمة بين الله و الإنسان . و لما لم يستطع الإنسان أن يقوم بالمصالحة ، نزل الله إلي الإنسان لكي يصالحه] . و مصالحة البشر مع الله ، هي هدف الفداء أيضاً ... لقد كان دم السيد المسيح ، هو ثمن هذا الصلح . و في ذلك يقول الرسول : " عاملاً الصلح بدم صليبه " (٢ كو ١ : ٢٠) . فأنظر ما أغلي ثمن مصالحتك ، و ما أغلي نفسك عند الله . فإننا " نحن قد صولحنا مع الله بموت إبنه " (رو ٥ : ١٠) . " أي أن الله في المسيح كان مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم " (٢ كو ٥ : ١٩) . و ماذا فعل المسيح في هذه المصالحة ؟ يقول الرسول : " لأنه هو سلامنا . الذي جعل الإثنين واحداً ، و نقض حائط السياج المتوسط أي العداوة " (اف ٢ : ١٤ ، ١٥) . " بالصليب قاتلاً العداوة به " (أف ٢ : ١٦) . المسيح صالحنا مع الآب ، و أزال العداوة ، و أزال الحاجز المتوسط . **و لكننا مازلنا نخطئ . و نحتاج في كل يوم إلي مصالحة . و لذلك كانت (خدمة المصالحة) هي عمل الرسل و رتب الكهنوت ...** و في ذلك يقول القديس بولس الرسول " و أعطانا خدمة المصالحة " " واضعاً فينا كلمة المصالحة " " نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله " (٢ كو ٥ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) . كل عمل الرعاة و الكهنة و لاوعاظ و المعلمين هو " خدمة المصالحة " ، متابعة الصلح بين الله و الناس ... و هذا هو عمل غالبية الأسرار المقدسة . **إن الله يريد أن يصطلح معك بكل الوسائل الممكنة .** يقول لك : كفي فترة الخصومة التي مضت ، و لنبدأ علاقة جديدة .فهما هربتم مني ، و ذهبتم إلي كورة بعيدة ، أو إختبأتم وراء الشجر ، أو بعد قلبكم عني ، سأرسل لكم الرسل و الأنبياء لأجل مصالحتكم ، و أرسل لكم الخدام ... و أرسل نعمتي ، و أعد الوسائط الروحية ، و أمهد الفرص ... و ماذا أيضاً ؟ **الله مستعد أن يرسل الضيقات أيضاً لأجل مصالحتنا ...** سواء أكانت هذه الضيقات لنا ، أو لبعض أحبائنا ...ربما إنسان لا يأتي بالحب ، و لكن يأتي بالضرب ، مثل أخوة يوسف الذين قادتهم الضيقة إلي الصلح (تك ٤٤) و الرب يقول " ادعني وقت الضيق ، أنقذك فتمجدني " (مز ٥٠ : ١٥) . تضغط عليك الضيقات ، فلا تجد سوي الله ، القلب الحنون الذي يشفق عليك ، فتصطلح معه ، ذاكراً حبه . إن كل ضيقة تهمس في إذنك : إصطلح مع الله . **اذكر أيضاً أن الله يصالحك ، من أجل صالحك ...** و هو أيضاً يصالحك ليصلحك ، لينقيك و يطهرك و يقدسك . لأنه من فرط محبته لك ، لا يتركك لكي تضيع و يفترسك عدو الخير . يخشي عليك أن تهلك لما تبعد عنه ، و تتغير مبادئك و مثالياتك ، و تصبح كأهل العالم مادياً و جسدانياً . لذلك هو يصالح ليخلص نفسك . و خسارة كبيرة لك ، أن تفقد هذه الفرصة و لا تصطلح مع الله ... **عظيمة هي الفوائد التي تحصل عليها من هذا الصلح ...** في الصلح تجد المغفرة و تجد الخلاص ، و يغسلك الرب فتبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . يمحو إثمك

، و لا يذكر لك خطاياك القديمة (أر ٣١ : ٣٤) . و في الصلح تحصل علي سلام داخلي ، فتصطلح معك نفسك أيضاً ، و لا يعود يوجد صراع في داخلك . و بالصلح تعود إلي رعوية الله ، و لا تصبح غريباً علي بيته و لا علي ملكوته ، بل تصبح من أهل بيت الله (أف ٢ : ١٩) . و بالصلح تكسب أبديتك لأنه كما يقول الرب (مز ٨ ك ٣٦) : **" ماذا ينتفع الإنسان ، لو ربح العالم كله و خسر نفسه ...** فإن كنت أحياناً تبذل جهداً لتصطلح مع أشخاص لك بهم علاقة مؤقتة علي الأرض ، فكم بالأولي يكون إهتمامك بصلحك مع الله الذي لك به علاقة أبدية لا تنتهي ؟! ... أعرف إذن أهمية الله بالنسبة إليك ، و أهمية الصلح معه ... حقاً ، كم بذل الرب في مصالحة هذا التراب و الرماد ، و لكن : **هل يوافق هذا التراب و الرماد علي مصالحة خالقه ؟** أخشي أن ينطبق علينا قول الرب لأورشليم و أهلها " كم مرة أردت ... و لم تريدوا " (مت ٢٣ : ٣٧) . إن الرب واقف علي الباب ، و لكننا لا نفتح له ... فكيف يتم الصلح إذن ؟ و ما هي العوائق التي تعطل البعض عن الإستجابة ؟ و ما الحل ؟

كيف يكون الصلح

الشرط الأول ، الذي بدونه لا يتم الصلح ، هو :

١- **أن تكون لك رغبة صادقة في الصلح مع الله ...** كل ما تفعله وسائط النعمة و المؤثرات الروحية ، و كل ما يفعله لمرشدون الروحيون ، هو أن تدخل هذه الرغبة إلي قلبك . فتقول في صدق " أريد يا رب أن أصطلح معك " ... و إن كانت رغبتك صادقة ، و من عمق القلب ، فستجد بلا شك الوسيلة التي توصلك إلي لله ... الله نفسه سيوصلك إليه ...

٢- إذن ترغب ، و تبدأ التنفيذ ، إن كنت جاداً في رغبتك ... لأن هناك من يقول إنه يريد الله . و ألف صوت في قلبه يصيح " أريد الخطية " . الرغبة في الصلح مع الله ، هي رغبة علي شفتيه فقط ، و لكنها ليست في قلبه . يقول : :" أريد " ، و في أعماقه لا يريد ، لأن الصلح مع الله ، سيحرمه من أشياء كثيرة يحبها ، و سيجعله يدخل من الباب الضيق و هو لا يرغب في ذلك ... و لعل السبب في ذلك ، خطية محبوبة ، داخل القلب ، أو عادة مسيطرة ، أو طبع ثابت ... و الإرادة عاجزة عن العلاج ... ربما الذي يجعلك عاجزاً عن الصلح مع الله ، أن حالتك تشبه ما وصفه معلمنا بولس الرسول في (رو ٧ : ١٨) : **" الإرادة حاضر عندي . أما أن أفعل الحسني فلست أجد "** ... " لست أفعل الصالح الذي أريده . بل الشر الذي لست أريده ، إياه أفعل " " ... لست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة في " (رو ٧ : ٢٠) . فإن كنت هكذا يا أخي ...

٣- **نصيحتي لك : جاهد مع الله ، لكي يغير قلبك .** قل له : خلصني يا رب من قلبي و من قلبي و من خطيئتي ، و من طباعي ، فلا يكن ذلك عائقاً أمام الصلح معك . أنت غيرت قلوب كثيرين ، ربما كانت حالتهم أسوأ مني بمراحل . ليتني أكون كواحد منهم . أنت يا رب غيرت قلب موسي الأسود ، و أوغسطينوس ، مريم القبطية ، و أوريانوس و الي أنصنا ... فهل تعصي عليك حالتي ؟! **أعتبرتي حالة معقدة ، و لكنها ليست صعبة أمام قدرتك اللانهائية .** أنا يا رب لا أستطيع أن أصلح قلبي أولاً، لكي أصطلح معك . و إنما أنت الذي تصطلح هذا القلب ، و تضع فيه المشاعر المقدسة اللائقة بهذا الصلح ... **أتقول يا إبني أعطني قلبك (أم ٢٣ : ٢٦) . خذه كما هو ...** أنضح عليه بزوفاك فيطهر . و إغسله فيبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . لست أطلب أن ترمم هذا القلب . إنما إخلق في قلباً نقياً (مز ٥٠) . و أعطني روحاً جديداً (حز ٣٦ : ٢٦) . **إن لم يكن في قلبي حب لك ، فأعطني هذا الحب ...** لا تلمني علي عدم محبتي ، إنما " اسكب في هذا الحب من الروح القدس " حسب قول رسولك (رو ٥ : ٥) . أعتبرني كطفل صغير ، يريد و لا يعرف ، و

يريد و لا يقدر ، " و قوم خطواتي " (مز ١١٩) . فكثيراً ما أعثر ... إن كنت أنا لست جاداً فيما يتعلق بخلاص نفسي ... يكفي أنك يا رب جاد في تخليص هذه النفس ... إن كان خلاص نفسي لا تقوي عليه إرادتي ..ز فلا شك أن نعمتك تقوي و تقدر ... إن كنت أنا بفساد طبيعتي ، لا أريد الحياة معك ... يكفي أنك تريد أن أحيا معك . و إرادتك تفعل كل شئ ... إن تركتني يا رب إلي إرادتي و إلي ضعفي ، فسوف أضيع . أعتبرني مريضاً لا يقوي علي شفاء نفسه ، و لا يقوي علي الذهاب إلي الطبيب . و قل كلمة فيبرأ الغلام (مت ٨ : ٨) . هكذا قدم للرب صلاة من كل قلبك . لأنه إن كان جهادك لا يقدر ، فإن الصلاة تقتدر كثيراً في فعلها (يع ٥ : ١٦) . و في صلحك مع الله ن لا تعتمد كثيرا علي عقلك ، و لا علي ذراعك البشري . " علي فهمك لا تعتمد " (أم ٣ ك ٥) . إنما خذ من القوة التي تسند ضعفك ... **الله يريد منك القلب و الإرادة و الإيمان ...** و الإرادة ليس المقصود بها القوة و العزيمة ، و إنما الرغبة ... فقد يكون الإنسان ضعيفاً ، و يمنحه الله القوة ليعمل ، بل الله نفسه يعمل فيه ، و يعمل معه . و كما قال القديس بولس الرسول " لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا أن تعملوا " (في ٢ : ١٣) . **الله يريد رغبتك، لأنه لا يرغم أحداً علي مصالحته .** فإن قدمت هذه الرغبة سيعمل هو معك . و لا أقول يعمل وحده ، لئلا يدفع هذا إلي التراخي . كما أن أعملك معه يدل علي جدية رغبتك في مصالحته ... قلنا إنه ينبغي أن تكون لك رغبة صادقة في الصلح ... و أن تنفيذ ما دمت جاداً في رغبتك ... و أن تصلي طالباً المعونة ، فيما تعترضك من عقبات ... و ماذا أيضاً ؟

٤-ابعد عن كل ما يغضب الله في المستقبل ... لئلا تصيبك نكسة في الصلح ، فترجع كما كنت ... إن صالحت الله ، فلا تعد و تنضم إلي أعدائه . بل ابعد عن كل مجالات الخطية ..ز لأنه كثيراً ما يشتاق القلب إلي الله ن ثم يبرد إشتياقه بتأثير آخر مضاد . فالإنسان سريع التأثر ، و ما أسهل أن تتقلب الطبيعة من الضد إلي الضد ، إن كانت لم تثبت بعد في الله ثباتاً كاملاً ... و اعلم أن الصلح مع الله ، ليس هو مجرد كلمة " أخطأت " . فقد قالها كثيرون و لم ينتفعوا بها ... **إنما الصلح مع الله ، هو حياة تتميز بإرضاء الله .** هو سلوك عملي يسعي لإرضاء الله و كسب محبته . و هو لا يقتصر علي الناحية السلبية فقط ، أي عدم الدخول في خصومة جديدة مع الله . إنما من الناحية الإيجابية ، يتحول الصلح إلي حب ...

٥-و هنا أنصحك أن تحيا في مجال التأثير الإلهي ... و إشغل فكرك به . لا تكن علاقتك بالله هي علاقة يوم في السبوع نسميه " يوم الرب " ، بل لتكن هي علاقة الأسبوع كله ، و علاقة الحياة كلها . و لا تظن أن الصلح مع الله ، هو مجرد أن تفعل البر . . فحسن أن تسلك في الفضيلة . و لكن ضع أمامك : **ان الفضيلة ليست هي الهدف . فالهدف هو الله ذاته .** الفضيلة هي مجرد وسيلة تعبر بها عن إلتصاقك بالله ... أما هدفك فهو هذا الإلتصاق بالله ، في حب مستمر ... و إن سرت في حياة الفضيلة و البر ، فلا يكن ذلك لكي تكبر ذاتك في عينيك ، أو في أعين الناس ... و إنما لكي بهذا البر ترتبط بالله أكثر ، و يصبح قلبك أهلاً لسكناه . لذلك كن مدققاً جداً و حريصاً . لا تخرج من دائرة الله ، إلي دائرة الذات ، أو إلي دائرة الفضائل . كن مركزاً إهتمامك وسعيك كله في الله و محبته . فيظل قلبك حاراً علي الدوام ، و تستمر علاقتك بالله قوية ... عيب كثيرين أنهم يمارسون الفضائل ، دون أن يشعروا بوجود الله في حياتهم و في عواطفهم . أما أنت ، فقل له : أريد يا رب أن اشعر بك ، و تعلن لي ذاتك . اريد أن أختلي بك ، و أكلمك و أفتح لك قلبي . أريد أن أحبك أكثر من كل واحد ، و أكثر من كل شئ . و أكون مستعداً أن أخسر كل شئ و أنا أحسبه نفاية ، لكي أربحك أنت و اوجد فيك (في ٣ : ٨) . هذه هي حرارة الصلح التي تتحول إلي حب ... و في هذه الحرارة تمسك بكل الوسائط الروحية التي تشعل عواطفك من نحو الله ، و تقوي علاقتك به .

٦-إقرأ عن قديسى التوبة ، الذين إصطلحوا مع الله و أحبوه ... و تأمل سير القديسين عموماً ، و كيف ملأ الله قلوبهم ، و كيف حرصوا علي إرضائه . لأن سيرتهم تلهب فيك محبة الله ، و تبعث محبة الخير الكامنة في قلبك . فكل إنسان مهما سقط في الخطية ، يوجد في أعماقه إشتياق إلي الخير ، إذ قد خلقه الله علي صورته و مثاله ، و الشر دخيل علي الطبيعة البشرية . **و كل شر يعمله الإنسان ، يسمع صوتاً في داخله يحتج عليه . و يأتي وقت لا يستطيع فيه إسكات هذا الصوت ...** و إذا قرأ سير القديسين ، أو رأي نموذجاً للفضيلة ، ما أسهل أن يلتهب قلبه من الداخل ، و يشعر بنقصه ، و تمتلئ عيناه بالدموع و يعترف أن السمو الروحي هو السمو ، سواء سلك فيه أم لم يسلك . و كل إنسان مستعبد لشهوة معينة ، لابد في داخله إحتجاج عليها ، مهما حاول أن يتجاهل هذا الإحتجاج .

٧-في صلحك مع الله ، لا تندم علي متع العالم التي تركتها من أجله . فهذه حرب من الشيطان ... لا تكن كإمراة لوط ، التي نظرت إلي الوراء و هي خارجة من سدوم (تك ١٩ : ٢٦) . بل أشعر بفرح أنك تخلصت من ذلك الماضي . فالخاطئ تنقص قيمته في عينيه و في أعين الناس ... و إن كان الشيطان يغرينا الآن بخطية ، فإنه سيعيرنا بها في يوم الدين أمام الله و الناس ، و يعتبرنا من جنوده لأننا إنفذنا له . و يعتبر نفسه مالكاً لكل عضو من أعضائنا خضع له . و لذلك حسناً قال الرب عنه :" رئيس هذا العالم يأتي ، و ليس له في شئ " (يو ١٤ : ٣٠) .

٨- إن أصطلحت مع الله ، إحرص أن تستمر مع صلحك ... لذلك فكر كثيراً في الأبدية و في ملكوت الله ... ليكن تفكيرك بعيد المدي ، و لا يقتصر علي الأيام القليلة التي نعيشها علي الأرض ، بما فيها من إرتباطات بالمادة و الجسد . و إن تعبت من أجل الله ، و في الصلح معه حملت صليباً ، قل لنفسك إن " الآم الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا " (رو ٨ : ١٨) . و لذلك فإن الذين يعيشون في علاقة طيبة مع الله ، يعيشون " غير ناظرين إلي الأشياء التي تري ، بل إلي التي لا تري . لأن التي تري وقتية و أما التي لا تري فأبدية " (٢ كو ٤ : ١٨) .

٩- إحترس من المفاهيم الجديدة ، التي تقلب موازينك الروحية ... التي تقول لك : " أي خطأ في هذا ؟! " ، أو تهون من جسامة الأخطاء ، أو تسميها بغير أسمائها ، أو تقدم تبريرات لكل خطية . و في ظلها لا تبدو الخطية خطية ، و يزول الحس الروحي ، و لا يشعر الإنسان أنه أغضب الله في شئ ! ربما يظن أن الله يغضب منه بلا سبب ! و هكذا لا يجد مبرراً لطلب الصلح ، لأنه لا يشعر أنه أخطأ ! بينما من بديهيات المصالحة ، الشعور بالخطأ . و لا يتأتي هذا إلا إذا تمسك الإنسان بلقيم السليمة ، المسلمة لنا مرة من القديسين ، في أقوالهم و في حياتهم ...

١٠-كن سريع الإستجابة لصوت الله في قلبك ... إن سمعت في داخلك صوت الله يدعوك إليه ، فلا تتجاهله ، و لا تؤجل ، لئلا تصاب بقساوة القلب ، و تفقد التأثير الروحي . و كما قال الرسول " إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣) ...

١١-من أساسيات الصلح ، أن تفضل الله علي ذاتك . إن أخطر ما يعوق الصلح ، هو أنك تفضل ما تريده أنت علي ما يريده الله . ذاتك هي الصنم الذي تعبدوه . و طالما ترضي ذاتك في كل شئ ، فلا يمكن أن تصطلح مع الله . و لذلك حسناً قال السيد المسيح : " من أراد أن يأتي ورائي ، فلينكر نفسه ، و يحمل صليبه و يتبعني " (مز ٨ : ٣٤) . حتي في الصلاة الربية التي علمنا إياها ، جعل الطلبات الخاصة بنا في الآخر . أما الخاصة بالله فهي أولاً . إنكارك ذاتك في هذه الأرض ، هو كسب ذاتك في الملكوت ... لذلك قال لنا الرب : " من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . و من يهلك نفسه من أجلي يجدها " (مت ١٦ : ٢٥) . و قال أيضاً " من وجد حياته يضيعها . و من أضاع حياته من أجلي يجدها " (مت ١٠ : ٣٩) ز فما الذي ضيعته أنت لأجل الرب ؟ ما الذي بذلته ؟ أتريد أن

تصطلح مع الله ؟ إحفظ هذا المبدأ : **الله أولاً . و الناس ثانياً . و نفسك آخر الكل ...** إصطلح مع الله ، و غصطلح مع الناس ، حينئذ ستصطلح معك نفسك ، و تصطلح معك السماء و الأرض ...

١٢-و في صلحك مع الله ، اشعر بالتغيير في حياتك ... لا تعش بنفس السلوب ، بنفس الطبـــاع ، بنفس التفكير . إنما إجعل مصالحتك مع الله تغير حياتك ... إلي أفضل . و الشخصية التـــي إعتـــاد لشيطان أن يسيطر عليها قبلاً ، تصبح شخصية لها قوتها في حروب الشياطين ، و لها إتضاعها في الوقوف أمام الله ، و لها محبتها و خدمتها و إحتمالها في معاملة الناس . و ليكن الرب معك ...

فهرست

	صفحة
مقدمـــــــــــــــــــــــــــــة	٦
١- الخطيـــــة إنفصـــــال عـــــن الله	٧
الخطيـــة إنفصـــال عـــن الله و قديســـيه	٨
الخطيـــة إنفصـــال عـــن جماعـــة المـــؤمنين	٢٠
خطـــورة الإنفصـــال و إمكانيـــة الرجـــوع	٢٥
٢-الرجـــــــــوع إلـــــــــي الله	٢٩
قصـــــة الإنفصـــــال عـــــن الله	٢٩
معنـــــي الرجـــــوع إلـــــي الله	٣٠
الله يريـــــــدنا أن نرجـــــــع	٣٥
الصـــلاة هـــي وســـيلة الرجـــوع	٥٣
الضـــيقة ســـبب للرجـــوع إلـــي الله	٦١
٣-الصـــــــــلح مـــــــــع الله	٦٩
الخطيـــــة خصـــــومة مـــــع الله	٧٠
الخطيـــــــــة خيانـــــــــة لله	٧٥
الله يصـــــــــــــــــــالحنا	٧٨
كيـــــف يكـــــون الصـــــلح	٨٣